الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج –

كلية الآداب واللغات

قســـم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

الشعبة: دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث ومعاصر

عنــوان المذكـــرة:

غربة الذات عند جبران خليل جبران
(نصوص مختارة)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر

إعداد الطالبتين:

- فطوم لطـرش
- يسرى بوهالي

إشراف الدكتور:

❖ سليم سعدلي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب العضو	الرتبة	الجامعة	الصفة
رياض نويصر		جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	رئيسا
سعدلي سليم		جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	مشرفا مقررا
رزيق بوعلام		جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1445–1446هـ/2023–2024م

* ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في ..... 2020 ديسمبر 27 .....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الأول)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): لعراش فطوم ..... الصفة: طالب، أستاذ، باحث .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 114222112 والصادرة بتاريخ: 2019.04.02 .....

المسجل(ة) بكلية / معهد: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: مظاهر الالتفات عند جبران خليل جبران (مقاربة موضوعاتية) .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2021/06/07 ....

توقيع المعني (ة)

ملحق بالقرار رقم ....1082.... المؤرخ في 2020 ديسمبر 27 .....
الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي:

نموذج التصريح الشرفي
الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

(الطالب الثاني)

أنا الممضي أسفله،

السيد(ة): بوهالي يسرى الصفة: طالب، أستاذ، باحث .....

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم 100529463 والصادرة بتاريخ 2016/04/13 .....

المسجل(ة) بكلية / معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)،

عنوانها: غربة الذات عند جبران خليل جبران (نصوص مختارة)

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2021/06/09

توقيع المعني (ة)

كلمة شكر وتقديــر

ربّي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدّي وأن أعمل صالحًا ترضاه.

الحمد لله سبحانه وتعالى على ما أواه من جميع وحباه من جزيل المواهب، نحمد الله ونشكره على إتمام هذا العمل.

يسرنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل **"سليم سعدلي"** على قبوله الإشراف على هذا البحث وما بذله من جهد.

ولا يفوتنا كذلك أن نتقدم بالشكر والتقدير إلى من ساهم في إخراج هذا العمل المتواضع.

إهـــــــداء

إلى لغة الضاد

إنّ الذي ملأ اللّغات محاسن جعل الجمال وسرّه في الضاد وخير استهلال من آيات القرآن الكريم قوله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" سورة العلق، الأية 1–5.

كل القلوب إلى الحبيب تميل ومعي بهذا شاهد ودليـــــل

أمّا الدّليل إن تذكرّت محمدًا صارت دموع العارفين تسيل

اللّهم صلي وسلم على الحبيب المصطفى خير مبعوث من عند الله يا من أضاء مولوده الأكوان وأحبّ منهجه الأرواح... صلوا عليه وسلموا تسليما.

لا يصل الناس إلى حديقة النجاح دون أن يمرّوا بمحطات التعب والفشل واليأس... وصاحب الإرادة القوية لا يطيل الوقوف في هذه المحطات... وسر النجاح والتخرج أتى من المثابرة...فقد عملت فأبدعت، وإصراري هو سر تفوقي...وصبري هو سر تميّزي أجمل التهاني والأماني سعيدة لتشريف أهلي لأكون أوّل خريجة لهم ورسم السعادة وأرفع قبعة تخرجي...حروف الأمل قد أشرقت معلنة نهايـــــة البداية، نهاية المسار الدراسي، نهاية مرحلة طويلة، فالبسمة والمحبة تتعالى لتوقظ أجمل أحلامي وأنا أرتقي عتبات التخرج مرتدية أجمل حلّة في أجمل أوقاتي وحققت المرام...انتهت مرحلة من عمري وبدأت مرحلة جديدة، قدم لي فيها أشخاص كل الدعم حتى الوصول للتخرج على رأسهم والدي ووالدتي العزيزين أهدي التخرج لكما.

إلى الرجل الأول في حياتي إلى أغلى ما في الكون إلى أبي الغالي أخبرك أن تعبك لم يذهب سدًا أهدي لك فرحتي فإبنتك اليوم ترفع رأسك فلم تتوانى لحظة في مساعدتنا والوقوف إلى جانبنا في أيام الشدائد إلى أبي الرّائع...أحبك.

إلى من سهرت ليالٍ طويلة من أجل راحتي ومن استيقظت فجرًا من أجل الدعاء لي أمي الحبيبة إلى من ينبض القلب مع أنفاسها من تجعل لحياتي معنًا أسمى وأعمق وأجمل...أمي العزيزة...أحبك.

إلى من يجمع بين قوة الأب وحنان الأم وضحكة الصديق إلى من هو نبض حي جميل وصديق وفي لا يخون ولا يكذب ولا يضر إلى من علمني الكفاح..إلى من كان سندًا لي في عزّ انكساري إلى هدية الحياة وأعز الناس سيّد قلبي وتاج رأسي أهدي لك تخرجي يا أجمل أقداري...زوجي العزيز.

إلى منارة العلم والعلماء إلى الصرح الشامخ الجامعة الإسلامية إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة...أساتذتنا الأفاضل.

إلى الذين ضفرت بهم هدية من الأقدار إخوة فعرفوا معنى الأخوة إخوتي الأحباء: زكرياء، إسماعيل، إدريس، محمد، إلى أخواتي العزيزات... أحبكم في الله.

إلى كافة زملائي وزميلاتي في الدراسة إلى صديقاتي العزيزات...أحبكم في الله.

إلى من تقاسمت معي عناء البحث بحلوه ومره، إلى أختي الحبيبة التي لم تلدها أمي إلى زهرتي "يسرى الغالية".

أقدم إهداء خاص إلى براعم العائلة: إياد، نورهان، السعيد، أسيل، بهاء الدين، يحي، سوار، رتاج حفظكم الله.

إلى كل من نساهُ قلمي ولم ينساه قلبي.

غاليتكم فطـــوم

إهـــــداء

من قال أنا لها "نالها".

لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها أن تكون.

لم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات، لكن فعلتها ونلتها.

الحمد لله حبا شكرا وامتنانا، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر إلى حلم طال انتظاره وقد أصبح واقعا أفتخر به.

إلى ملاكي الطاهر، وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية "أمي"

أهديك هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله قد اصطفاك لي من البشر "أمًا" يا خير سند وعوض.

إلى من دعمني بلا حدود وأعطاني بلا مقابل "أبي".

إلى من قيل فيهم:

[سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ]

إلى من مدوا أيديهم دون كلل ولا ملل وقت ضعفي "إخوتي" أدامهم الله ضلعا ثابتا لي.

إلى من آمنت بقدراتي وأمانِ أيامي "أختي الكبرى".

إلى حبيبتي ونور قلبي وملاكي الطاهر، إلى من تقاسمت معي البحث بكل تفاصيله أختي فطوم أحبك في الله.

إلى كافة زميلاتي في الدراسة وخاصة صديقاتي حكيمة وميسون أحبكم في الله

يســـــرى

"إن جميع كتابات جبران تدعو إلى التفكر العميق فإن كنت

تخاف أن تفكر فالأجدر بك أن لا تقرأ جبران "

جبران خليل جبران.

"معرفة الذات هي أمُّ كل معرفة.

جبران خليل جبران.

"إنّي أكدُّ في العمل، وفي عملي يحدوني شوق طفل ضائع إلى أمه، وإنّي أصبحت أعتقد أنّ رغبة الإنسان في الكشف عن ذاته هي أقوى من جميع المجاعات وأعمق من أيّ عطش".

جبران خليل جبران.

مقـــدمة

مقـدمة:

الذّات البشرية غريبة الأطوار، وعندما نتكلّم عن الإنسان فإننا نقول الذات الإنسانية، غامضة الملامح دومًا في محورٍ مجهول بين معرفة نفسها تارة وجهلها تارة أخرى. هي محور الوجود هي من تضفي على كل الجمادات فيضًا من النّور هي التي تحسّ وتشعر، وهي تختلف بين البشر وليست قالبًا موحدًا فهي مجال التنوع والاختلاف إنها محرّك البحث لوصول الإنسان إلى أعلى درجات الكمال.

ولقد سعى الإنسان دومًا إلى اكتشاف هذه الذات وفهمها حتى يستطيع الالتزام مع نفسه ومع إخوانه البشر، ومسألة اكتشاف هذه الذات ليست بالأمر الهيّن لأن الإنسان متناقض الأفكار والمشاعر، لاسيما من تأثير العوامل المحيطة به أيضا ما يجعله يبتعد عن هذه الذّات ويفقد ماهيتها، "إنّ رغبة المرء في الكشف عن ذاته أقوى من كافة أنواع الجوع وأعمق من أي عطش"، هذا ما يقوله جبران وكثير من الناس قد مرّ بتجربة الغربة عن هذه الذات، ويحدث هذا الاضطراب عندما يشعر بشكل دائم أنّ المكان ليس بمكانة وأنّ الزمان ليس زمانه عندما يشعر بأنه يراقب نفسه من خارج جسمه والأشياء التي حوله ليست حقيقية وكأنه يعيش في حلم.

كما هو الحال عند جبران خليل جبران فظروفه هي التي صنعت منه إنسانًا متمردًا على ذاته، ولدت منه إنسانًا جديدًا ففي داخل كل شخص حياة يعيشها بمفرده، سعى جبران من أجل اكتشاف هذه الذات المغتربة ومحاولة تكوينها نحو الأفضل، فاغتراب هذه الذات لا يعني الابتعاد عن الناس وأماكن تواجدهم وإنما وحدة هذه الذات في البحث عن ماهيتها المفقودة، فقد رأى أن هناك من المظاهر ما يحجب حقيقة هذه الذات.

من أجل هذا عمل جبران لتنقيه ذاته من هذه العيوب بذكر ضعفها للوصول إلى الكمال، فهو كان رافضًا وناقدًا لها ولم يكن يتقبل ذلك ما جعله متمردًا على هذا الضعف، فمعرفة الذات هي أم كل معرفة عنده لذلك كان دوما يحبُ العزلة والانفراد والألم الذي عاشه جبران في حياته من أسباب هذه العزلة وصعوبة تواصله مع الآخرين ما سبّب له الانفصال عن العالم الخارجي.

يعدّ إنتاج جبران انتاجًا غزيرًا ومتشعّب استسقى العديد من المعارف من الفلسفات القديمة وتأثره بالمناهل الغربيّة في جميع إبداعاته، وقد أصبح إهتمام الباحثين والدارسين به قليلا في وقتنا ولم يعد الاهتمام بمؤلفاته كبيرًا لكن على العكس فإن نصوص جبران من أعمق النصوص إبداعًا وفلسفة، وفكرًا ونصوصه ملهمة وعناوينه مشوقة تدعوك إلى التحكيم العميق والتأمل، ولعل ما ذكرناه سابقا كان من بين أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع في بحثنا والموسوم بغربة الذات عند جبران خليل جبران.

من هنا تبلورت فكرة البحث عن تحجليات الغربة عن الذات في مؤلفات جبران، فما هي الغربة؟ وكيف تجلت عند الجاهلين قديمًا؟ ما هي عوامل الغربة؟ ماذا نقصد بغربة الذات؟ لنصل إلى ما هي غربة الذات عند جبران؟ وهل وفق جبران في البحث عن ذاته؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سرنا وفق خطة بحث تجزّأت لمدخل وفصلين (نظري وتطبيقي) تتصدّرهما مقدمة أبرزنا فيها موضوع بحثنا، تطرقنا في بداية البحث إلى مدخل والذي يحتوي على مجموعة من العناوين الرئيسية والفرعية أوله الغربة والاغتراب في المجتمع الجاهلي وهذا العنوان منفصل إلى غربة القهر وغربة الذات، وثانيه كان تحت عنوان عوامل الغربة في المجتمع الجاهلي والتي تنقسم إلى العامل النفسي، والعامل البيئي، والعامل الاجتماعي، وأيضا المرأة، وثالثا العنوان الرئيسي المعنون بـالغربة عن الذات والذي تحدثنا فيه عن عناصر مهمة في هذا البحث والتي كانت كالآتي: النزوح على العصبية القبلية، والانصراف عن واجبات العصبية، وأخيرا الاستهتار، والذي تضمن عناوين فرعية هي الغربة بعد الموت، والغربة الدينية، وتطرقنا أيضا إلى الغربة عند شعراء المهجر والتي انقسمت إلى الرابطة القلمية، والعصبة الأندلسية.

أما الفصل الأوّل معنون بـ: مفاهيم ومقاربات نظرية حول الغربة والاغتراب والذّات، والذي تضمن عنوان رئيسي مفهوم الغربة والاغتراب، وتفرع إلى الغربة لغة واصطلاحا، والغربة في الدين الإسلامي، الاغتراب عند الفلاسفة، وثانيها مظاهر الغربة الذي تجزأ في مجموعة من عناوين العجز، والعزلة الاجتماعية واللامعنى، اللاّمعيارية والاغتراب عن الذات (التمرّد)، وثالثها مفهوم الذات لغة واصطلاحا.

أما الفصل الثاني: ويندرج تحت عنوان تجليات غربة الذات في نصوص مختارة لجبران خليل جبران، أولا تناولنا سيرة جبران خليل جبران، ثانيا تجربة الغربة عند جبران، ثالثا مظاهر الغربة في أدب جبران والذي درسنا فيه العجز الذاتي والعزلة الاجتماعية والاغتراب عن الذات والذي نقصد به التمرد وأيضا درسنا اللاّمعنى واللاّمعيارية.

كما تطرقنا أيضا إلى البحث عن الذات في نصوص جبران متبعين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي التنقيبي لنصل إلى خاتمة بحثنا والتي عرضنا فيها ما توصلنا إليه من خلال دراستنا، ومن بين أهم المصادر التي اتبعناها نذكر:

- يحي جبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي.
- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي.
- غسان خالد ،جبران الفيلسوف.

وكأي باحثين واجهتنا بعض العراقيل من بينها قلة المراجع التي تبرز الموضوع بصفة شاملة.

لكن الحمد لله دائما أن وهبنا أزكى النعم نعمتي الصحة والعقل، لنكـــون في هذا المقـــام العلمـــي الطيب، والشكر دائما لله سبحانه وتعالى على تسييره لنا الطريق لاتمام هذا البحث وإخراجه بهذه الصورة وفي أبهى حلّة، آملين أن يكون بحثنا هذا لبنة تضاف إلى اللبنات الأخرى في مجال الأدب.

المـــدخـــــل

أولا: الغربة والاغتراب في المجتمع الجاهلي

1- غربة القهر

2- غربة الذات

ثانيا: عوال الغربة في المجتمع الجاهلي

1- العامل النفسي

2- العامل البيئي

3-العامل الاجتماعي

4- المرأة

ثالثا: الغربة عن الذات

1-النزوح عن العصبية القبلية

2-الانصراف عن واجبات العصبية

3-الاستهتار

4-الغربة بعد الموت

5-الغربة الدينية

رابعا: الغربة عند شعراء المهجر

1-الرابطة القلمية

2-العصبة الأندلسية

أولا: الغربة والإغتراب في المجتمع الجاهلي

يقول ابن منظور في مادة (غ،ر،ب): "والغرب، الذهاب والتنحي عن الناس، وقد غرب يغرب غربا وغرب وأغرب وغربه، وأغربه: نحاه، وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر تغريب الزّاني إذا لم يحصن، وهونفيه عن بلده.

والغربة والغرب: النوى والبعد، قال ساعدة بن جؤية يصف سحابا: "لم أنتهي بصدي وأهيج جالسا، منه لنجد طائف متغرب" .....وقيل: غرب في الأرض وأغرب اذا أمعن فيها. قال ذوالرمة: "أدنى تقاذفه التغريب والجنب".

ونوى غربة: بعيدة ، وغربة النوى: بعدها قال الشاعر

"وَشَطّ وَلِي النَوَى أن النَوَى قذف تياحــة غُرْبـــة بِالـــدَار أَحْيَانــا [1]

النوى: المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك،ودارهم غربة نائية.....والغربة والغرب: هو النزوح عن الوطن والاغتراب، قال المتلمس:

"أَلاَ أَبْلَغا أَفْنَاء سَعْد ابن مَالِك رِسَالة مَن قَد صَار فِي الغَرْب جَانِبَه"

والاغتراب والتغريب كذلك، وغريب بعيد عن وطنه. والجمع غرباء والأنثى غريبة....."[2]

هناك تمييز بين نوعين من الغربة يمكن أن نسميهما: غربة الفهم وغربة الذات، فالغريب هو من كان بعيدا عن وطنه وأهله، ومن كان في غير وطنــه وأرضه، والمغترب: هو من قصد الغربة (اغترب: نكح في الغرائب) وهو افتعال من الغربة.

هناك غربة مادية تتجلى في البعد عن الوطن والأهل مثلا، وغربة معنوية تتجلى في الخروج على مبادئ الناس وتقاليدهم وأعرافهم (إن الإسلام بدا غريبا) والغرباء هم (الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي).

إن لفظة (غرب) تتسع لكثير من المعاني الحسية والمعنوية وإن تعددت استعمالاتها، هذا ناجم عن طبيعة الحياة في المجتمع الجاهلي القائمة على التنقل المستمر على النظام القبلي .[3]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب مادة (غرب)، نقلا عن: عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د ط، د ت، دمشق، ص 11.

[2]- م.ن، ص 12.

[3]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 13.

ومن هنا يمكن التمييزبين نوعين من الغربة:

1- غربة القهر: ليس للإنسان سلطة فيها وإنما اصطلحت مجموعة من العوامل على خلقها، وقد تجلت في الغربة عن الوطن والأهل وفي الغربة عن المجتمع .

2- غربة الذات: قصد إليها الإنسان الجاهلي إليها قصدا وتجلت في حنينه إلى الماضي وتغير الدهر عليه، وخروجه على القبيلة وعلى القيم الدينية والروحية التي كان يؤمن بها المجتمع الجاهلي، وأقرب أن نسميها اغترابا لأنها افتعال.[1]

ويبدو أن الغربة عاشت مع الإنسان منذ بداية حياته، فهومنذ بدأ يضرب في الأرض، وقد حمل بين جوانحه ضروبا من الإحساس بالغربة حتى تلونت، قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الاحساس.

وقد وجدت دواع كثيرة للغربة والاغتراب في الحياة العربية، فقد كان القلق يسيطر على الإنسان العربي في ذلك العصر، ولعل غياب السلطة المركزية والدين فضلا عن العامل الذاتي والطبيعي الأثر الكبير في نشوء ظاهرة الاغتراب منذ القديم.

إن جذور هذا الاغتراب قديمة في الشعر العربي، إذ أن العربي قد حمل ضروبا من الإحساس بالغربة في هذه الصحراء المترامية، وربما كانت أسطورة الحارث الجرهمي التي يذكرها وهب بن منيه في كتاب (التيجان)، وتصور زوار الجراهمة وبقاء الحارث وحده في التيه والغربة – في الواقع رمزا لحياة العربي التي تضرب في المتاهات دون انقطاع، ورحيله الذي لا يهدأ وراء المطر والكلأ، ولذلك كانت مطالع القصائد في الجاهلية في كثير من الأحيان حديثا عن الأطلال – بقايا وطنه المهجور- واحساسا عن الغربة بعد الأنس، وحنينا طويلا الى ديار أحبابه الراحلين، الذين هم بالنسبة له كأبناء الوطن بالنسبة للمعاصر.[2]

وقد عرف المجتمع الجاهلي ضروبا من الغربة عبر عنها الشعر، وقد أسهمت الطبيعة الصحراوية وأسلوب الحياة الرعوي، والنظام القبلي على احترام العصبية ، صونا للمجتمع وحفاظا على تماسكه، والتنقل الدائم في تحديد غربة الإنسان الجاهلي، فقد تترك قبيلة موطنها بحثا عن موطن صغير آخر تتوافر فيه أسباب حياتها ومواشيها، وتخلف وراءها أرضا وأناسا وذكريات، أو يذهب الشاعر بعيدا عن قومه وموطنه، فيتذكر الوطن وساكنيه في غربته أو موطنه الجديد، فهذه غربة فرضتها طبيعة الحياة وهي خارجة عموما عن إرادة الإنسان. [3]

---

[1]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص .14

[2]-د. وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلية من الجاهلية إلى نهاية القرب الثاني عشر ميلادي، د،ت، ط1، 1975-1976 ص331-332

[3]-عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص .15

وقد يولد الانسان لأمة سوداء فيظل لونه يلاحقه ويكون عليه سبب، أويكون فقيرا فيتصعلك، أو يرتكب خطيئة فيخلع أويؤسر في احدى غزوات القبائل الكثيرة ، أويسجن أويضطر الى النزول بقوم لا يمد إليهم بصلة النسب، فيكون في كل هذه الحالات غريبا، ولكن هذا ليس بإرادته ايضا فهوغريب غربة القهر والحياة والمجتمع.[1]

من هنا نستنتج أن كل غربة حصلت للإنسان وليس له سلطة فيها وتجلت في الغربة عن الوطن والأهل والمجتمع فهي غربة قهر، وكل غربة حصلت للإنسان طوعا وبرغبة منه وقصدا فيها إغترابا فهي غربة ذات.

ثانيا: عوامل الغربة في المجتمع الجاهلي

تمّت أسباب دفعت الإنسان الى الغربة خارجة عن سيطرته وهناك أسباب دفع نفسه بها إلى الغربة تعنتا وتشددا بسبب رفضه لكل العادات والتقاليد المفروضة عليه في ذلك المجتمع، والتي يراها مجحفة في حقه في ظل غياب العدالة الاجتماعية، وثمّة عوامل عدة كانت مهمة في بعده، سواء أكان ذلك غربة أواغترابا فهي جعلت منه مشتتا يعاني ويقاسي جراء ما أصابه ، ومن أهم هذه الدّواعي:

1- العامل النفسي :

الإنسان العربي لا يستطيع إلا أن يكون حرا فهو سليم الفطرة، ورغم ما عاشه من ظروف قاسية فرضتها الطبيعة بلا زرع ولا أنهار ما أكسبه طباعا نفسية لا تتواجد ربما في بقية شعوب العالم.

ابن خلدون وهو يصفه في قوله: "متوحش، نهاب، سلاب إذا أخضع مملكة أسرع إليها الخراب، يصعب انقياده لرئيس، لا يجيد صناعة، ولا يحسن علما، ولا عنده استعداد للإجادة فيها، سليم الطباع مستعد للخير، شجاع".[2]

كل هذه الصفات استمدها من ذلك الجو المتقلب، فحياته محفوفة بالمخاطر ما يجعله إذا أحبّ بذل نفسه وإذا كره بذل نفس العدو، وإذا عاهد صدق، وإذا غزا وغنم وزّع غنائمه على سواه فقد كانت صفاته متناقضة بسبب البيئة الصحراوية، " عصبي المزاج، سريع الغضب، يهيج للشيئ التافه ولا يقف هياجه عندما، وهو أشدّ هياجا إذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته، وإذا هاج أسرع الى السّيف واحتكم إليه "[3].

هذا هو إنسان الصحراء العربية، ابن العرب الذين وصفهم (ديودورس الصقلي) بأنهم "يعيشون الحرية فيلتحفون السماء وقد اختاروا الإقامة في أرض لا أنهار فيها ولا عيون ولا ماء، فلا يستطيع العدو المغامر الذي يريد الإيقاع بهم أن يجد له مأوى ....ومن يخالف العرف يقتل، وهم يعتقدون بالإرادة الحرة وبالحرية ".[4]

---

[1]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص .16

[2]-أحمد هبو، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، د ط، منشورات جامعة حلب، سورية، 1990، ص262.

[3]- المرجع نفسه، ص 265.

[4]- المرجع نفسه، ص 265، نقلا عن: عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 29.

ولقد لخص (فيليب حتي) تكوين الإنسان الجاهلي العضوي والنفسي والمعاشي بقوله: "وليس جسم البدوي لدى التشريح سوى حزمة من الأعصاب الحساسة، والعظام والعضـلات فكـأنه مثـال لجدب الأرض وقحطها، يتألف طعامه اليومي من التمر وشيء من الدقيق أوالذرة المحمصة ممزوج ببعض الماء أوالحليب ولباسه بسيط كمأكله .... ، وأظهر فضائله التجلد والصبر اللذان يمكنانه من الحياة، حيث يكاد يهلك كل شيء غيره "اغتراب الإنسان الجاهلي إذن معادل موضوعي للعقم والجدب والعدم، وهوحقيقة كبرى في بيئة الشـاعر القاحلة، التي لا تعرف الخصب والعطاء وإلحاح الشعراء على هذا المعنى في مطالع قصائدهم يوحي إيحاء أقرب إلى اليقين بإحساسهم الشديد بفجيعة الغربة، بل بفجيعة الحياة التي تسيطر عليها قوى القدر الذي يضرب ضرباته القوية، فيغرق بين المحبين، وهي قوى لا يستطيع السيطرة عليها ومحاولة التخلص التي يمتلكها إزاء هذه الغربة، هي ركوب ناقته ليرحل فينسى أي أنه يقابل الغربة باغتراب آخر، هكذا كانت تدور حياته، وهكذا علمته الصحراء التي يعيش فيها .[1]

ذلك هو السواد القائم الذي جعل من الإنسان يتخذ من الغربة ملجأ للهروب من تلك الظروف القاسية أنذاك.

2- العامل البيئي :

تغلب على البيئة في الجزيرة العربية البيئة الصحراوية، ومناطق قفار مترامية الأطراف جعلت مناخها جافا وشديد الحرارة، بوجه عام والجفاف يعني أيضا قلة الأمطار أو ندرتها ..... إن هذا الجوالرهيب والبيئة الصعبة جعلت من الإنسان العربي قديما يهاجر بسبب الظروف الصعبة القاسية ما جعلهم يخرجون من الجزيرة العربية هربا من الفقر والطبيعة الصعبة هناك، ذلك أنهم كانوا يعيشون في منطقة جبلية بمرتفعات شديدة البرودة وأغوار شديدة الحرارة ، ومناطق رملية صعبة العيش حتى على الحيوانات، ما أدى بالإنسـان الجاهلي إلى اتخاذ الهجـرة ملاذا[2]، فإذا انقطع المطر ما يعني انقطاع الحياة فيها، وإذا جاء يكون قويا ينهي كل مقومات الحياة يحول كل شيء أمامه، ولا مجال للحياة إلا ما ندر.[3] ما جعل منهم يهيمون على وجوههم فارين مما هم فيه، لكن هذا الفرار خلّف في نفوسهم آلاما تشوي قلوبهم كما شوت الشّمس أدمغتهم، وعقدت ألسنتهم كما عقد البرد ذنب الكلب، بسبب

[1]- فليب حتي، تاريخ العرب (المطول)، د ط، دار الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع، ج1، 1949، ص 30.

[2]- د.جودت إبراهيم بسام أحمد المجدل، الشاعر العراب وغربته في الجاهلي، مجلة جامعة البعث، المجلد 44، العدد 13، 2022، ص 71.

[3]- ينظر، عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 19، 20.

آلام الغربة القسرية فهم خرجوا من مكان فيه أناس جعلتهم يتحملون تلك الطبيعة في سبيل البقاء إلى جانبهم، ويمكن أن نضع هذا العامل مع جملة من العوامل التي دعت للغربة الأعربة وغيرها من الشعراء.[1]

ومن هنا نستنتج أن الغربة لم تكن مقصودة وكانت حاجة فرضها الواقع المرير،في شبه الجزيرة العربية وظروفها القاسية ما جعلت منه إنسانا، دائم الحنين إلى الأهل والأقرباء والوطن.

3- العامل الاجتماعي:

عندما نرجع إلى معاني كلمة عرب في لغتنا العربية فإننا نجدها تعني الفوضى، وهذا يدل على حياة البداوة الغير مستقرة تعمها الفوضى والمهلكة التي صعبت فيها ظروف العيش ما جعلهم يلوذون بالفرار اتجاه الهجرة ملاذا.[2]

لكن ذلك لا يسمح بالقول أنهم كانوا غوغاء منتشرين في الأرض مثل الغجر، ذلك أنهم كانوا يتكيفون مع المكان الذي فرضه الواقع المزري الذي يعيشونه، ويرتحل إلى المكان الذي يجد فيه أسباب المعيشة حيث يتوفر الماء، فمنهم من اتخذ الزراعة فاستقر وعاش حياة نصف حضرية، ومنهم من بقي يتنقل ويبحث عن متطلبات المعيشة، إلا أنه ظل توّاقا إلى حياة الإستقرار والعيش في ظل الهيئة المجتمعية التي يحكمها رئيس، "وحدتها الأسرة التي تمثل الواحدة منها الخيمة أو البيت، والحي عبارة عن مضرب من مضارب الخيام وأعضاء الحي يطلق عليهم لفظ قوم، وتتألف القبيلة من أقوام وعشائر تربطها أواصر النسب، وينظر أبناء العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض كأبناء دم واحد وهم يؤدون الطاعة لرئيس واحد وهوكبير أعضاء العشيرة، ويتداعون الى الحرب بصيحة واحدة، ويرجع اسم العشيرة في الغالب إلى الجد الاول الذي تنتسب إليه".[3]

وقد كانت العشيرة تجتمع على نظام واحد مشترك تقرر بالتشاور مع كبارها على الاستقرار أو البقاء بحسب توفر ظروف العيش ولم يبدو أيّ اعتراض يقف أمام الرحيل لأنهم كانوا يرون أنّ في ذلك مصلحة لهم لحرصهم على وحدة القبيلة لحماية بعضهم البعض، "القبيلة هي عماد الحياة في البادية، بها يحتمي الأعرابي في الدفاع عن نفسه وماله، حيث لا شرط في البوادي تؤدب المعتدين ولا سجون يسجن فيها الخارجون عن نظام المجتمع وكل ما هنالك عصبيّة تأخذ الحق وأعراف يجب أن تطاع".[4]

---

[1]- د.جودت إبراهيم بسام أحمد المجدل، الشاعر العراب وغربته في الجاهلي، ص 72، 73.

[2]- أحمد هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 93.

[3]- د.فليب حتى، تاريخ العرب (المطول)، ص 33.

[4]- علي جود، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د ط، ج4، ص 313، نقلا عن: جودت إبراهيم بسام أحمد المجدل، الشاعر العراب مأساته وغربته في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة البعث، ص 75.

كانت هذه احدى الدوافع الاجتماعية التي كانت السبب الكبير في اتخاذ الإنسان الجاهلي من الغربة الملجأ الآمن لكسب عيشه، وممارسة مختلف نشاطاته رغم الظلم والاستبداد الذي كان يعيشه.

4- المرأة:

المرأة كانت دافعا من دوافع الشجاعة والفروسية سواء أكانت أمّا أو حبيبة، والآن تعد المرأة هنا من الدّواعي المهمة التي تجعل الشاعر يشعر بالغربة في جميع الحالات بعيدا عنها أوقريبا وقد ذكرها الشاعر في مقدمة كل قصيدة لما فيها من أثر كبير في سير حياته ولاسيما المرأة الحبيبة.

يقول الشاعر في فراق من أحب والغربة في غيابها تمزق أحشاءه :

عُمَيرة وَدَّع إن تَجَهَزت غَادِيا كَفَى الشَّيْب وَالاسْلاَم لِلْمَرْء نَاهَيا

جُنُونا بِهَا فِيمَا اعْتَشَرْنا عَلاَلَة عَـــلاَقَة حُبّ مُسْتَسّرا وَبَـــادِيا

لَيَالِي تَصْطَاد القُلُوب بِفَاحِم تَرَاه أَثِيثا نَـــاعِم النَبْت عَــافِيا

وَجِيد كَجَيْد الرِيْم لَيْس بِعَاطِل مِنْ الدُّر وَاليَاقُوت وَالشَّذَر حَالِيا.[1]

فمن خلال هذه الأبيات يتضح أن الشاعر قد عانا فيها بعده عن محبوبته التي عاش من دونها غريبـــا متألما، حيث أن المرأة تعد الملاذ الذي لجأ اليه فيما قاساه وعاناه، وكانت من أهم أسباب غربته كما هومتعارف أن المرأة هي سكن الرجل وملجأه الآمن، فقد خلق الله آدم عليه السلام وخلق له حواء من ضلعه مكان طمأنينته وسلامه النفسي وراحته.

ثالثا: الغربة عن الذات

1- الخارجون على القبيلة أوتقاليدها:

أ- الإنصراف عن واجبات العصبية :

الخروج على القبيلة ومفاهيمها يأخذ معنيين: معنى فردي يلتزم به الفرد أوأوفر إحساسا بضيق الحياة ولا معناها، فينعكس ذلك في سلوكه وشعره على شكل من الاستبطان والمشاقة اللذان يعبران عن حدة التّسوف مع استشعار العجز عن تبديل الواقع أو تحويره أوتطويره، فلا يجد صاحبها أمامه سوى ظاهرة عدم الانتماء التي

[1]- ديوان سحيم عبد نبي الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، د ط، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1915، ص 16، 17.

يعارض من خلالها بالموقف السلبي أواللامبالي، قيما وتقاليد راسخة أويتعالى على بعض ما يؤوده من تلك التقاليد والقيم مبقيا على سائر مقوماتها من خلال منظور سكوني لا يلتفت الى ما بدأ يطرأ على القبيلة أوعلى إنسانيتها من شروح بحكم التطور الذي بدأ ينتاب تكوينها الإجتماعي والإقتصادي، وأما أن يتحسس المشكلة بإحساس أوبوعي فيلمس ما بدأ يظهر من تناقض بين ظاهر تلك التقاليد وبين ممارستها في الواقع النامي فيدرك أن إنسانية القبيلة بدأت تخلي المكان لأشكال من التمايز أو التفاوت، فيبدأ هذا الإحساس بوطأة هذه الظاهرة ليقترن بوعي جديد لمشكلة تباين الناس من حيث الفقر والغنى، والوفرة والحرمان، ومن حيث تمركز السلطة أو الزعامة أو النفوذ في أيدي الاثرياء على حساب المحرومين فيمضي في أول سعيه لإقامة حوار مع المجتمع المتمثل في القبيلة يبدؤه في الكلام وقد ينتهـــي به إلى امتشاق الحســـام ليبت حبل الصلـــة التي تربطه بهذا الكيـــان المرافق لأزلية الصحـــراء[1]، ويشعر الجاهلي بغربة قاسية حين تفضل القبيلة رجلا غريبا عليه، وعلى الرغم من انتمائه إليها والتزامه بواجبات العصبية فقد فضل قومه رجلا غريبا، مع حاجته الماسة إلى مساعدتهم، فقد روى الضبي أن "أفنون التغلبي" قد سأل قومه "أباعر" فخيبوا أمله، ولم يتحملوا عنه ديات من قتلهم، وكان رجل يدعى ابن سوار"طلب منهم أباعر فأعدو حاله ولم يظنوا بها، فقال هذه القصيدة يعاتب بها قومه ويذكر أنه لوكان من قبيلة أخرى ما فرط في جنبه هذا التفريط.

أَبْلِغ حَيِيْبا" وَخَلَل فِـــي سِرَاتِهِم ... أَنْ الفُؤَاد انْطَـــــوَى مِنْهُم عَلَى حَزَن

قَـــالُوا عَلَي وَلَم أَمْلُك فَيالَتِهم ... حَتَى انْتَحَيت عَلَـــى الارْسَاغ وَالشَن"

سَأَلْت قَوْمي وَقَد سَدَت أَبَاعِرُهم ... مَا بَيْـــــن رَحْبة ذَاتِ العِيْص وَالعَدْن

إِذْ قرَّوا لابْن سِـــــوَار أَبَاعِرُهم ... لله دُرَّ عَطَـــاء كَـــــان ذَا غَبَـــــن

أَنِي جَزُّوا عَامِرا سَـــوْأَى بِفِعْلِهم ... أَم كَيْف يَجْزُونَني السَّوَأى مِنَ الحَسَن [2]

ويعلق الشاعر غضبه أحيانا على قومه لأنهم خرجوا على منطق العصبيّة، ولكن بطريقة أخرى، والذي يبدو من سياق البيتين التاليين أن قوم الشاع قد قبلوا صلحا وديّات، ولم يثأروا لقتلاهم ،فيسخر الشاعر منهم ويحمّلهم عار ما يفعلون، بل إنه يعلن خروجه على ما قرّروا انتمائه لهم.

[1]- إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، د ت، ط1، دار الصليعة للطباعة والنشر، بيروت، نوفمبر 1979، ص 181.

[2]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 224.

فَـــأَن لَمْ تَفْعَلُـــوا واتّدَيْتم فَمْشُـــوا بِـأَعْـــرَاف النَعَـــام

وَلاَ تَشْـــرَبُوا إلاَ فَضُول نِسَائِكُم إِذَا ارْتَمَلْـــت أَعْقَابَهُنّ مِـــن الدَّم

ويهدد "المتلمس"قومه معيّرا اياهم مذكرا اياهم بالهوان الذي يلاقونه من حكم "عمربن" "هند"، وهم يقومون على الهوان الذي لايرضى به الاّ الحمار.

والأبيات مشهورة حتى صارت مضرب الأمثال :

إنَّ الهَوَان حِمَار القَـوْم يَعْرِفُـــه وَالحَرّ يَنْكُره وَالرَّسْلة الأَجَـــد

كَونُوا كَبِكْر كَمَا قَد كَانَ أَوَلَكُـم وَلاَ تَكُونُوا كَعَبد القَيْس إِذْ قَعَدُوا

وَلَن يُقِيم عَلَى خَسَف يَسْام بِـه إلاَ الاذَان عِيْر الأَهْل وَالوَتَـــد [1]

عَلَى الخَسَف مَـــرْبُوط بِرِمَتِـه وَذَا يَشْـج فَمَـا يَرْثَي لَه أَحَد

ب –الاستهتار:

ويحس الشاعر إحساسا عميقا بوضأة القبيلة ورتابة حياتها وبؤس تقاليدهـا فيستهتر بها فتتحامـاه القبيلة، ويفرد أفراد البعير المبعد كما قال "طرفة بن العبد"، ويأتي الاستهتارفي المرحلة التالية للإنصراف عن العصبيّة، فحين ينصرف المرء عن قبيلته تنصرف هي أيضا عنه فيستهتر بها وبتقاليدها عامدا، وغربته هذه وإن كان منشؤها ذاتيا تؤثر فيها مؤثرات إجتماعية غير مباشرة .

والمستهتر بالقبيلة والعصبيّة سيقوم دون شك بأفعال ويتخذ مواقف تخالف منطق القبيلة والعصبيّة فقد يكون أميرا ويتصرف تصرف الصعاليك .[2]

فهنا قصة "إمرئ القيس"، فقصة حياته تبين أنه منذ صغره وهويعيش على طريقته الخاصة مخالفا أمر أبيه وقبيلته، وقد كان أبوه يعاقبه نتيجة ما وصل إليه من استهتار وتصعلك وشرب للخمر والصيد مع أمثاله من الصعاليك العرب، إلى أن دفعه أبوه الى من يقتله ويأتيه بعينيه"، قال ابن الكلبيّ": حدثني أبي عن "ابن الكاهن الأسديّ: أن حجرا كان طرد امرئ القيس وآلى ألا يقيم معه أبقى معه أنفه من قوله الشعر، وكانت الملوك تأسف من ذلك فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذّاذ العرب من طي، وكلب، وبكر ابن وائل فإذا صادف

[1]– عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 222، 223.

[2]– –م.ن، ص 228.

غديرا أوروضة أوموضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم، وخرج الى الصيد فتصيّد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قيانه، ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير ثم ينتقل الى غيره.[1]

ومن هنا يظهر لنا أن الاستهتار يولد لدى الفرد نتيجة عوامل نفسية تعود لظروف الشاعر ومعاناته فيصبح متمردا على قبيلته.

2- الغربة بعد الموت:

لم تتوقف غربة الانسان الجاهلي لكنها تعدّتها إلى غربة الوحدة، والإنعزال في القبر بعد الموت وهذه أبعد صور الإغتراب إمعانا في الرهبة والجزع فهواستطاع أن يستعين على صنوف الغربة، إذ يأنس الى وحش الصحراء.

ويتخلص من العبوديّة واللون بقوة وذكاء يمتلكها إلا أنه في غربة الموت لا أمل له بالخلاص ولا بالعزاء ولهذا قال "بشير بن أبي حازم":كفى بالموت نأيا وإغترابا، إن أكثر ما يخشاه الشاعر من الموت وحدته، إذ بعد فراق الأهل والأصحاب يتركونه وحيدا في العراء، فيتمنى الجاهل أن يقهر الزمن والموت والتغيير وأن يشارك الأشياء صفاتها وخصائصها، وأبيات "تميم بن مقبل" التي تدور حول هذا المعنى حيث يتمنى فيها الشاعر لوكان حجرا تمر به الحوادث والمتغيرات، ويبقى شاهدا عليها جميعا يقول :

إِنْ يَنْقُض الدَّهْـــــر مِنِي فَالفَتَى لِلْدَهْر مِن عَوْدَه وَاف وَمَلْشُـوم

وَإِنْ يَكُنْ ذَاكَ مِقْدَارًا أَصَبْت بِـــه فَسَيرَة الدَهْر تَعْوِيـــج وَتَقْوِيم

مَا أُصِيب العَيْش لَو أَنَ الفَتَى حَجر تَتَبوا الحَوَادِث عَنْه وَهُو مَلْمُوم.[2]

ولقد آمن الشاعر الجاهلي بأن الموت حق وأن الإنسان لا بدّ وارده، وليست العبرة هنا بمعرفة الموت وإنما بالإيمان بأحقيته – "فزهير" يعلم تمام العلم أن الناس تفنى نفوسهم وأموالهم، أما الدهر فيظل باقيا، وأن الإنسان يمر في هذه الحياة وقد مرّ أناس قبله، وأنّه في آخر عمره سيهوي في حفرة وكأنّ أحد يدفعه إليها يقول :

أَلاَ لَيتَ شِعْرِي هَل يَرَى النَاس مَا أَرَى مِنْ الأَمْر أَو يَبْدُو لَهُـــــم مَا بَدا لِيا

بَدا لِي أَن النَـــــــاس تَفْنَى نُفُوسَهُم وَأَمْوَالَهُم وَلاَ أَرَى الدَّهْـــــر فَانِيا

وَإِنِـــــي مَتَى أَهْبِط مِن الأَرْض تَلْعَة أَجِد أَثَرا قَبْلِـــي جَدِيـــدًا وَعَافِيًا

[1]- -أبي فرج الأصفهاني كتاب الأغاني، د ت. ط1. القاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية. الجزء التاسع، 1936. ص87.

[2]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 196، 197.

أَرَانِي إِذَا مَـــــا مُت بِتّ عَلَى هَوى فَثَمّ إِذَا أَصْبَحت، أَصْبَحْت غَادِيا

إِلَى حُفْـــرة أَهْـوَى إِلَيهَـــا مُقِيمَة يَحُثّ إِلَيهَـــا سَـــــائِق مِن وَرَائيا.[1]

3- الغربة الدينيّة:

ولم تنشأ أصول الديّانة السامية في البوادي الرملية بل في الواحات وكانت لأول عهدها ترتكز على تقديس الحجارة والجدران حتى في العصور التي سبقت عصر الحجر الأسود، وبئر زمزم في الجزيرة وعصر بيت "ايل" في فلسطين، ولم يكن البدوي يقيم كثيرا وزنا للدين.

وقد ورد في القرآن "الأعراب أشّد كفرا ونفاقاّ" (التوبة 98) ويقال أنهم إلى يومنا هذا لايطيعون الرسول إلاّ بالقول.[2] ، قال تعالى: "**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**".[3]

والدّيانة البدوية مبنية على الإيمان بوجود أرواح في الأشياء المادية، مما يرى الإنسان طوله من أشجار ورمال وحجارة أورياح وأمطار ونجوم، ثم تكاملت صورة الألوهيّة إلا أن سورة المحسوسات الطبيعية بقيت مقدسة وغيرت وسائط بين العابد والمعبود [4]، أما فكرة الآخرة فإننا لا نجد في الأدب الجاهلي إشارة واضحة إليها والعبارات القليلة الغامضة التي تحمل مسحة من التفكير بالآخرة، جاءت على أمر التعاليم النصرانية وأخلاق العربيّ قائمة على فلسفة اللّذة الحالية فكان أبدا دائما في مهام الحياة التي تحتاطه ولم يكرس من الفكر كثيرا لأمور الآخرة.

ولم يكن للوثني العربيّ في جاهليته أساطير كالتي نعرفها عند الشعوب العربية، ويمثل الدين عنده أول أشكال المعتقدات السياسية وأبسطها وأكثرها سذاجة، ومع هذا فلم يكن له حظ وافر في أمور الدين، ونحن نستدلّ على هذا من الشعر الجاهلي ومما ذكره القرآن الكريم فيما بعد، وكان في قيامه ببعض الطقوس الدينيّة إنما ينساق بقوة الإستمرار، ويجري إمتثالا لأحكام العرق والتقاليد، وليس في الشعر الجاهلي ما يدل على شعور ديني عميق أوعاطفة روحية شديدة، والذي يقرأ حادثة "إمرئ القيس" مع " تبالة "يدرك هذا مباشرة ، فقد مرّ " بتبالة "ولها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة)، فاستقسم عنده بقداحة وهي ثلاثة: الآمر والنّاهي والمتربص، فأجالها فخرج النّاهي، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم. [5]

وفي هذين البيتين لشاعر قديم سر الفلسة العربية في الحياة:

---

[1]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 298.

[2]- د. فليب حتى، تاريخ العرب (المطوّل)، ج1، ص 32.

[3]- سورة الحجرات، الآية 14.

[4]- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص 309.

[5]- م.ن، ص 308.

تَطُوف مَا نَطُوف ثُمَ يَأْوِي ذُو الأَمْوَال مِنَا وَالعَدِيم

إِلى حَقِير أَسَافِلُهُن خَوْف وَأَعْلاَهُن صِفَاح مُقِيم [1]

ولما كان البدو يترددون على مراكز الحضارة في الحجاز لتبادل البضائع وخاصة في الأشهر الحرم الأربعة فأنهم قد تأثروا بطابع الأفكار المدنية التي كانت أرقى من أفكارهم وتعلموا بعض الشعائر الدينية مثل الطـــواف بالكعبة، ونحر الذبائح وكانوا يقدمون الإبل والأغنام في مكة وعند مختلف الأنصاب التي كانت تعتبر أصناما أو مذابح، وكان الحج إلى مزاد مشهور في إحدى مدن الحضر بين أعظم الفرائض الدينية عند البدوي، وكانت الأشهر الحرم الأربعة تتضمن ما أصبح في التقويم الإسلامي الشهر الحادي عشر والثاني عشر والأول من كل عام (ذو القعدة، ذو الحجة، محرّم) ويضاف إليها شهر آخر في منتصف السنة وهورجب وكانوا قبل الإسلام يفرزون الأشهر الثلاثة، الأولى للفرائض الدينية أما الأشهر الأخيرة فلتعاطي التجارة، وإمتاز قطر الحجاز بخصائص فريدة منها ووقوعه في نقطة مركزية وسهولة الوصول إليه وقيامـــه على طريق القوافل الســـائدة بين الشمـــال والجنوب، فانفتحت فيه أبواب واسعة للحركة الدينية والتجارية، وبفضل هذه نشأت سوق عكاظ والكعبة .[2]

ولا نكاد نصل إلى أواخر العصر الجاهلي حتى بدأ الاستعداد لفكرة الإله الواحد، وانحلال الديانات الأخرى والتمهيد لقدوم الإسلام الذي جاء بتعاليم الدين في شتى المجالات.

IV- الغربة عند شعراء المهجر:

منذ أواخر القرن التاسع عشر شرعت تنزح إلى بلاد "لولومبوس" جماعات من أبناء البلاد العربية، ولا سيما من لبنان وسوريا بعضها هربا من جور الأتراك وبعضها انتجاعا للرزق، والبعض الثالث للسببين معا، وبين تلك الجماعات المهاجرة كانت طائفة من الشبان الذين كانت تتوقد بين جوانحهم قلوبا متوثبة للحرية، وفي رؤوسهم آفاق من الفكر النيّر والخيال الخصيب، أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي، الذي عزّ عليه أن يعيش أسيرا للظلم والعوز، فانطلق يبحث عن الحرية والإكتفاء.[3]

الإغتراب ظاهرة قديمة قدم الإنسان في هذا الوجود، منذ أن تكوّنت المجتمعات الأولى نشأت معها، وفي ظلها الأزمات التي تتمخض بشكل أوبآخرعن أنواع من الإغتراب التي عانى منها الفرد وواجهها على وفق حجم

[1]- فليب حتي، تاريخ العرب (مطوّل)، ص 142.

[2]- م.ن، ص 14.

[3]-د عيسى النّاعوري، أدب المهجر، ط3. دار المعارف، مصر، ص 17.

طاقاته العادية والروحية، فقد تقوده إلى التمرد والعصيان، مثلما قد تقضي به إلى الإستسلام والإنعزال والإنكفاء عن الذات.[1]

إنّ المهجريين آمنوا بأنه لا بدّ من روابط تجمع شملهم وعنها تصدر أعمالهم الإبداعية فكوّنوا الروابط الأدبية وأشهرها رابطتان:

أ- الرابطة القلمية في الشمال.

ب- العصبة الأندلسية في الجنوب.

1-الرابطة القلمية في الشمال:

في أفريل 1920 التقت آراء من جماعة أدباء المهجر في أمريكا الشمالية حول فكرة واحدة وهي ضرورة إنشاء رابطة توحّد جهودهم، وتكتّل قواهم، وقد أطلقوا عليها اسم "الرابطة القلمية"، واتضح اتجاهها الأدبي الذي يبحث فيما وراء الأشياء ولا يكتفي بالقشور في الشعار الذي قام بتصميمه "جبران خليل جبران" ووضع معه هذه العبارة (**لله كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء**) وأعلنوا رأيهم في الأدب حينما قالوا: الأدب هو الذي يستمد غذائه من تربة الحياة ونورها وهوائها، والأديب هو الذي حصّ برقة الحسّ ودقّة التفكير وبعد النظر في تموجات الحياة وتقلباتها، وبمقدرة البيان عما تحدث الحياة في نفسه من تأثير، ولقد أحدثت الرابطة القلمية تأثيرا كبيرا في نهضة الشعر العربي بالمهجر، كما أحدثت ثورة عارمة من أنصار القديم عليها[2]، ولكنها شقت طريقها في عزم وإصرار حتى أصبح لها أنصار في كل مكان.

وعن الرابطة القلمية صدرت الأعمال الأدبية التي توضح إلى حدّ بعيد مدى إغراق المهجريين في التأمل في كل مجالات الوجود وما وراءه، والنفس الإنسانية والطبيعة وما ورائها، وقيم الحياة من خير وشر، وبغض وحب وكان للشماليين في هذه النزعة البال الطويل وفي مقدمتهم نجد "ميخائيل نعيمة" بشعره ونثره، ومنهجه النّقدي الذي عبر به الطريق أمام أدب الآخرين وفي كتابه "الغربال" يقول: إذن فالأدب الذي هوأدب، ليس إلا رسولا بين نفس الكاتب ونفس سواء والأديب الذي يستحق أن يدعى أديبا هومن رسوله من قلبه ولبه.

ومنه نستنتج بأن "الرابطة القلمية" ما كانت لتقدم هذه المجموعة إلى قرّاء العربية لولا إعتقادها بأنها قد اتخذت من الأدب رسولا، لا معرضا للأزياء اللغوية البرهجة العروضية، وقد تكون مخطئة فيما تعتقد، لكن إخلاصها على الأقل يشفع بخطئها، فهي لا تدعى لهذه المجموعة أكثر مما تستحق، فإن لم يكن لها إلا تشويق بعض الأرواح الناشئة إلى طرق الأدب عن سبيل المعجمات.

---

[1]-محمد راضي جعفر، الإغتراب في الشعر العراقي المعاصر(المقدمة)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م، ص*****.

[2]-د محمد فؤاد مرعي، مجموعة الكاملة جبران خليل جبران، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ،بيروت، 2012،ص 19.

وقد ظلّت الرابطة القلمية إلى عام 1920 ثم تبعثرت ،بوفاة "جبران خليل جبران"ثم رشيد،ونسيب وندرة وغيرهم وكذلك عودت" ميخائيل نعيمة "إلى لبنان.

2- العصبة الأندلسية:

وما أذنت شمس الرّابطة القلمية بالمغيب حتى سطع هلال العصبة الأندلسية في الجنوب، وكان قيام العصبة في "سان باولو" سنة 1922 م وكان صاحب فكرتها "شكر الله الجر" الذي وجد عند" ميشال معلوف"الإستعداد للتنفيذ، لتقوم العصبة مقام الرّابطة انتفضت من الشمال.

وقامت هذه العصبة لتجدد طبيعة الشعرالعربي ولكن في هدوء وفي غيرالاعنف، كما أنها لم تجعل من أهدافها قطع الصلة تماما بين الشعر الحديث والشعرالعربي القديم، بل كانت على العكس من ذلك راغبة في بقاء شيء قديم يصل الماضي بالحاضر مع العرب المحدثين عن التراث الفكري لآبائهم الأقدمين.[1]

ومن أعضاء العصبة البارزين: فوزي المعلوف ،ورياض المعلوف وشفيق المعلوف وإلياس فرحات والقروي وشكرالله الجر.

وكان لهذه العصبة دور في التأمل وإن يكن مخالفا لمنهج الرابطة القلمية، وبينما كان طابع الشماليين التأمل والحيرة، وكان طابع الجنوبيين الدعوة إلى تهذيب الواقع وتعميق الإحساس القومي والحنين إلى أرض الوطن والتفاخر بالمآثر العربية.

ومن هنا يمكننا القول أن موقف الشماليين هو الهروب من الواقع وعدم القدرة على مجابهته أوالثورة عليه وتحدّيه، والرغبة في التغيير ما تأتى عنهم أمانيهم، أما موقف الجنوبيين فهودائما المواجهة والتصدي ومحاولة التغيير في هدوء، والتسليم أحيانا بالواقع المفروض.

فنعيمة يقول في حيرة وقلق :

أَطْلَقْت قَلْبِـي عِنْد الغُـــرُوب
لِيَتَسَـــــلَـــى مَــعَ القُلُــوب
فَعَاد قَلْبِـــي بَعْــد الغَــرُوب
يَشْكُــو إِلَـيّ ثِقَـــل كُرُوبِي
أَرْسَلْـت طَرْفِي بَيْـــن النُجُـوم
وَقُـلْت عَلَـــى أَنْسَي هُمُـومِـي
قِطَـاف طَرْفِـي بَيْـــن النُجُــوم
وَلَـم يُشَـــاهِـد سِـوَى غُيُـومِي [2]

[1]- د.فؤاد مرعي، مجموعة جبران خليل جبران، ص 20

[2]- د. عيسى النّاعوري، أدب المهجر، ص 32.

وهذا الشعر كثيرا ما يسطر على نعيمة وهومن أبرز أدباء الرابطة القلمية وقد قال الأبيات السابقة سنة 1922 ويلازمه هذا الشعور ويتكلف حتى يتخيل الحياة قبورا تدور.

يقول من قصيدته "قبورا تدور" في سنة1928.

فَخَلَى جَمَـــالاً يَرَاءَا الغُـــرُور وَلَيْسَت تَرَاء عُيُـــــون الدُهُور

وَخَلَى الجِهَاد وَخَلَى الطُمُــوح وَخَلَى القُصَـــــور وَحَتى القُبُور

وَدَوَرَى مَع الكَوْن خَيْلا فَجِيْلا فَهَل نَحْن إلاَ قُبُـــــورا تَـــدُور

ويقول أبوماضي:

أَسِير فِي الرَوضَـــة عِندَ الضُحَى كَالمُدلِـــــــج فِـــي فَد فَد

أَمَامِـــــي المَـــاء وَلاَ أَرْتَوي وَحَولِي النُـــــورُ وَلاَ أَهتَـــدِي

يَاسَائِلِي عَن أَمْسِي كَيفَ إنقَضَى دَعهُ وَسَلنِي يَا أَخِـــي عَن غَـــد

أَرُوح لِلنَفـــس وَأَهنَـــالَهَا أَن تَحسَب المَاضِـــــي لَم يُولَد [1]

ويقول بدافع الشعور في نفسه :

جُعتُ وَالخُبزُ وَفِير فِي وَطَابِي وَأَلَسنَا حَولِي وَرُوحِي فِي ضَبَاب

وَشَرِبتُ المَاءَ عَذبًـــا سَائِغًا وَكَأَنِـــي لَم أَذُق غَيـــرَ سَرَاب

حَيرَة لَيسَ لَهَا مِثلَـــ سِوَى حَيرَة الزَورَق فِـــي طَاغِي العَبَاب

كانت ثورته على المجتمع وتقاليده، وقد كانت ثورته وانفعالاته صارخة كثيرا ما ضاع صداها، وفي قصة" يوحنّا المجنون"يتجسد هذا الشعور حينما يقول على لسان "يوحنّا" مهاجما رجال الدين المسيحي.(تعال ثانية يا

[1]- أنطوان القوال، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ط1، 1994، دار الجيل للنشر والتوزيع، ص 17.

يسوع الحي واطرد باعة الدين من هياكل فقد جعلوها مغائر تتلوى فيها أفاعي زيّفهم إحتيالهم، تعال وحاسب هؤلاء القياصرة فقد اغتصبوا من الضعفاء مالهم ومال الله.[1]

و"شفيق معلوف"وهومن أدباء الجنوب:االعصبة الأندلسية يقول وهويقابل الحياة متحديا همومها:

وَحَجبتُ عَن أَهْل الحَيَاة دُمُوعَهُم وَدُرتُ عَلَيهِـــم بِالرَحِيـــق المُبّر

أَقُولُ لِنَفسِي إِن تَنَهَدتِ فَـازَ فَرَى رُويدًا عَلَى جَمرِ العَذَّاب المُرمَد

وَعَضَّى يَسُن البَشَر ثَغْـرُك وَانْحَرَى عَلَـــى شَفَتَيـــهِ زَفْـــرَة المُتَنَهِد

وقد يخضع أدباء الجنوب ويستسلمون بل ويربحون بمآسي الحياة وقلوبهم تطفح بالمرارة.

فنرى" زكي قنصل" يقول :

وَيحَ قَلبِـــي قَسَت عَلَيهِ اللَيَالِـي وَهُو رَاضٍ بِمَـــا يُلاَقِـــي سَعِيد

أَلف النَـــار فَهِـــي بَرْد عَلَيـــهِ كُلَمَـــا مَاتَ وَقْدُهَـــــا يُسْتَعِيد

يَحتَفِـــي بِالهُمُومِ..مَا أَنجَاب هُم عَنْـــهُ إِلاَ تَـــــلاَهُ هُم جَـــدِيد

ولا شك أن مثل هذا التصور للحياة لايعمق مفهومها ولايساعد موكبها على الاستمرار، فما معنى أن يسعد الإنسان بقسوة الليالي؟ وما جدى أن يستعيد نار العذاب؟ وهل من السائغ أن يحتفي الإنسان بالهم؟ اللهم إلا في لحظات اليأس، وكان رئيس العصبة "ميشال معلوف" ونائبه "داود شكري" و" أمين السر"و"نظير زيتون" و"أمين الصندوق"و"يوسف البعيني" وخطيبها "جورج حسون معلوف".

وأصدرت العصبة مجلة بإسمها وكان يرأس تحريرها:"حبيب مسعود" وكما انتهت الرابطة القلمية.انتهت وتوقفت العصبة الأندلسية بعد أن تفرقت مجلتها، ولم يبق منها سوى آثارها وروائعها الناطقة.

وأسوة بالرابطة القلمية والعصبة الاندلسية ظهرت جماعات وأندية أخرى لكنها لم تحدث الصدى الذي أحدثته السابقات، ومن هذه الجماعات:

(أ)- رابطة منيرقا←← أسسها أحمد زكي أبوشادي ونعمة الحاج.

(ب)-رواق المعرى←←وهي حلقة أدبية تكونت في سان باولوبرئاسة نعوم لبكى.

[1]- أنطوان القوال، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ص 19

(ج)- الرابطة الأدبية ← تأسست في الأرجنتين عام 1949 وصاحبها جورج صيدح.

(د)- جمعية الإخاء العربي ← تأسست في فنزويلا وكان اتجهاها وطنيا .[1]

نستنتج أن هذه الروابط أظهرت مواهب المهجريين، وعبرت عن آراء ونقلت أصواتهم النائية المشوية بأنين الغربة وأصداء الحنين إلى بلادهم وبلاد العالم كله، وذلك بإيمانهم التام أن هذه الروابط ستكون مصدر إبداعاتهم الأدبية والفنية.

[1]- د. عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص 243.

الفصل الأول:

مفاهيم ومقاربات نظرية حول الغربة والاغتراب والذات

أولا: مفهوم الغربة والاغتراب

1- المعنى اللغوي للغربة

2- المعنى الاصطلاحي للغربة والاغتراب

3- معنى الغربة في الدين الإسلامي

4- معنى الغربة والاغتراب عند الفلاسفة

ثانيا: مظاهر الغربة

1-العجز

2- اللامعنى

3- اللامعيارية

4-العزلة الاجتماعية

5- الاغتراب عن الذات (التمرد)

ثالثا: مفهوم الذات

1- المعنى اللغوي للذات

2- المعنى الاصطلاحي للذات.

إن ظاهرة الغربة والإغتراب من أقدم الظواهر في حياة الإنسان، فقد ظهرت منذ القدم في المجتمعات الأولى بسبب تلك الأزمات التي واجهت المجتمعات، وهي ظاهرة غريبة تتكون وتتشكل من إنسان لآخر بأشكال وصفات عديدة على مسبباتها، ومن مجتمع لآخر بحسب المؤثرات التي تحيط بهم، وقد أصبحت ظاهرة الغربة الإغتراب من أبرز الظواهر إثارة للجدل والنّقاش لكثرة التعريفات حول أبعاد هذه الظاهرة.

أولا: مفهوم الغربة والاغتراب

1-المعنى اللغوي للغربة:

وإذا أردنا تعريف الكلمة العربية "غربة" فإننا نأخذها كما وردت في لسان العرب "لإبن منظور": مادة (غ .ر.ب) أن الغرب الذهاب والتنحّي عن الناس، وغرّب عنه يغرب غربا، أغرب، وأغربه، نحاه والغربة =البعد والنّوى". [1]

كما أنّ الغربة تعني أيضا، التواري والإختفاء عن الناس: "غربة الوحش في مغاربها أي غابت في مكانيسها ". [2]

كما أنها تأتي بعمنى:"الشؤم والشذوذ أوعمل بعض الصفات النّوعية لبعض المخلوقات التي كان يتطيّر منها الإنسان خاصة في الجاهلية".[3]

وفي تاج العروس ذكر "الزّبيدي": "التغريب بمعنى الذهاب، والغرب بمعنى النوى والبعد. وأيضا الغرب والغربة: النزوح عن الوطن والتغريب بمعنى النفيّ عن البلد".[4]

وجاء في مختار الصحاح للشيخ "الإمام محمد بن أبي بكربن عبد القادرالرّازي "1992 مايأتي:

(غ ، ر ،ب)، الغربة ، الإغتراب نقول: (تغرّب وواغترب) بمعنى فهو(غريب) و(غرب)والجمع (الغرباء). والغرباء أيضا الأباعد و(إغترب) فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث الشريف "وإغتربوا لا تضووا" (والتغريب) النحي عن البلد و(أغرب) جاء بشيء غريب.

وأغرب أيضا صار غريبا، وتجمع معاجم اللغة العربية على اختلافها على أنّ كامة "الغربة" أو"الإغتراب" تعني النزوح عن الوطن أوالبعد الإنفصال عن الآخر.[5]

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، (غ.ر.ب)، د ط، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، د ت، ص 32، 33.

[2]- الزمخشري، أساس البلاغة، د ط، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1341هـ، ص 159.

[3]- الجاحظ، كتاب الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، د ط، منشورات مكتبة هلال، بيروت، 1992، ص 516.

[4]- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة غرب، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، ص 404، 412.

[5]- ابن سيده، المخصص، ج12، ص 51.

وفي (المخصّص) لإبن سيده. يروي عن صاحب العين "أغربته وغربته: نحّيه ..... بنو الغبراء: الغرباء.....

أبوعبيد: الشجير: الغريب أبوزيد، النقيل الغريب في القوم وإن رافقهم أوجاورهم،والأنثى نقيلة.

ابن السكيت: قوم عدا. غرباء، وأنشد

إِذَا كُنتَ فِي قَومٍ عَدَا لَستَ مِنهُم فَكُلُ مَا عَلفْتَ مِن خَبِيثٍ وَطَيب

أبوزيد: الجميل، الغريب في القوم لا تعرف نسبه.[1]

من خلال تعرفنا على معاني الغربة نستنتج أنّ الغربة تعني، البعد عن الأهل وعن الوطن والنفي عن البلد والإنفصال عن الآخرين مايعني أنها تكون غربة عن الذات وغربة عن الوطن.

2– المعنى الإصطلاحي للغربة والإغتراب:

إن مقابل كلمة الغربة والإغتراب في اللغة الإنجليزية Alienation والفرنسية Alienation، وأصلها من الكلمة اللاتينية "أليناتو" Alienato ويشير الإغتراب في تلك اللغـــات إلى حالة تحول الكـــائن إلى خارج ذاته، أوتجاوز ذاته. وقد أستخدمت كلمة الإغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة أوالإنسلاخ سواء عن الذات أوعن الآخرين.[2]

واغترب الرجل: أي نكح في الغرائب وتزوج إلى غير أقاربه، وفي الحديث (إغتربوا لا تضووا) أي لا يتزوج الرجل القرابة القريبة، فيجيء ولده ضويا.

وكثيرا ما تكون الغربة قسرية بسبب ما يتعرض له الإنسان من ظلم وخوف أوجوع، أما الإغتراب فهوطوعي يختاره الإنسان لأسباب منها عدم الإنسجام مع المجتمع والعجز عن الإنتماء وعـــدم الرضى بالتقاليـــد والأعراف، والمخالفة في الفكر والمعتقد، وكثيرا ما يشعر المغترب بالوحدة والعزلة والفراغ النفسي، وكذلك شعوره بافتقاد الأمن وسوء العلاقات الإجتماعية وافتقاد الطمأنينة.

وصور الإغتراب كثيرة منها: الإغتراب عن الوطن، ومنها الإغتراب داخل الوطن، ومنها الإغتراب عن المجتمع، أوالإغتراب عن الذات، وكل هذه الأنواع مريرة وقاسية ويشعر صاحبها بالألم والوحشة والمرارة، ولعل أقسى أنواع الغربة هي الغربة داخل الوطن بسبب الظلم والإظطهاد والخوف أوالفقر والحرمان، ومن أقوال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: "الفقر في الطن غربة، والغني في الغربة وطن".[3]

---

[1]– أ.د. يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الوطن)، ط1، جامعة إربد الأهلية، الأردن، 1428هـ، 2008، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2007، ص 16.

[2]– م.ن، ص 17.

[3]– م.ن، ص.ن.

ومنه نصل إلى أنّ الغربة في المعنى اللغوي تعني الإبتعاد عن الناس والتّنحّي وفي المعنى الديني هي الترفع عن موبقات الدنيا، وفي المعنى الإصطلاحي عدم التوافق بين عادات المجتمع ومجموعة تقاليده وأعرافه وبين الذات المغتربة.

3- معنى الغربة في الدين الإسلامي:

لم ترد كلمة غربة في القرآن الكريم وإن كانت الفكرة نفسها، أي إنفصال الإنسان عن الله عزّ وجل، وقد عبرت عنها قصة بوضوح قصة "آدم عليه السلام" وهبوطه من الجّنة إلى الأرض، كما وردت في سورة البقرة على وجه الخصوص. قوله تعالى: " **وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ".[1]

ومن خلال النّص القرآني يبيّن أن غربة الإنسان بدأت منذ تركه جنّة الخلد مغتربا وهبوطه إلى الأرض المليئة بالآلام.

وجاء في الأثر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء"، قالو: يا رسول الله ومن الغرباء؟ قال: ناس صالحون قليل في ناس كثير، من يعصيهم أكثر ممن يعطيهم، بمعنى أنه كان في أول أمره كالغريب الذي لا أهل له لقلة المسلمين. وسيعود غريبا كما كان.

أم يقل المسلمون في آخر الزمان فيصيرون كالغرباء، فطوبى للغرباء أي الجنة لأولئك المسلمين الذين كانوا في أول الإسلام ويكونون في آخره.[2]

ولكن حين اراد "ابن عربي(1165-1240) في الفتوحات المكيّة أن يسمي هذه الفكرة وأن يطلق عليه كلمة تحدد فعل الخلق والهبوط هذا، لم يجد سوى كلمة "الغربة" وفعل "الإعتراب" فقد كتب في "الفتوحات المكيّة" يقول مانصّه:"إن أول غربة إغتربناها وجودا حسيا عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبيّة لله علينا، ثم عمرنا بطون الأمهات فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة.[3]

إذن فالغربة من المنظور الديني، تعني الترفع عن موبقات الدّنيا.

---

[1]- سورة البقرة، الآية 35، 36.

[2]—حنان خصيص . الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث (فوزي المعلوف أنموذجا). جامعة محمد بوضياف، المسيلة، مذكرة لنيل الماستر، 2014-2015

[3] - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة سيكولوجية الإغتراب، ص32

4- معنى الغربة والاغتراب عند الفلاسفة:

يختلف مفهوم الاغتراب باختلاف اتجاهات الباحثين، واختلاف المجتمعات التي يدرس فيها مراحل تطورها، وحتى في المجتمع الواحد، كما يرجع سبب الاختلاف لتنوع التخصصات التي تناولته بالدّراسة من علم الاجتماع والنفس والفلسفة، وهو يختلف معناه عند كارل ماركس رغم أن المجتمع الذي عولج فيه واحد وهو المجتمع الأوروبي، فما بالك باختلاف المجتمعات والثقافة وتطورها.

ويرتبط الاغتراب بإشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية وبالأمن والاطمئنان وبالطموح والتوقعات، وبالمكانة الاجتماعية، وكل هذه المفاهيم تختلف في المجتمع نفسه حسب الجنس والمستوى الثقافي والسن والخصائص والمميزات الفردية، كما تختلف من مجتمع لآخر حسب الخصائص الثقافية التي تضرب بجذورها في أعماق تاريخ كل مجتمع.

1-الاغتراب عند كارل ماركس:

عرّف الفيلسوف الألماني "كارل ماركس" الاغتراب بأنه: "الفرد يمر أحيانًا بأوضاع يفقد فيها نفسه ويصبح غريبًا أمام نشاطه وأعماله ويكاد يفقد إنسانيته"[1]، وفكرة الاغتراب عند ماركس مأخوذة من فلسفة "هيجل" وهي فكرة أساسية في الماركسية لأنها تفسر وضعية الإنسان المؤلمة وقيمته في المجتمعات الرأسمالية.

ويأخذ الاغتراب عند "ماركس" عدّة صور منها "الاغتراب السياسي، وفيه يصبح الفرد تحت تأثير السلطة الطاغية مجرد وسيلة ولعبة لقوة خارجة عنه، والاغتراب الاجتماعي وفيه ينقسم المجتمع إلى طوائف وطبقات وتخضع الأغلبية للأقلية ولا سبيل للتخلص من ذلك إلا بالثورة، وأخيرا الاغتراب الاقتصادي وهو عند "ماركس" الاغتراب السياسي وفيه تسود الرأسمالية، وتستولي طبقة خاصة على وسائل الإنتاج جميعها، ولا علاج لها إلا بتملك الدولة لهذه وسائل الإنتاج، ويعني أن الاعتراب مرتبط بالنظام الرأسمالي"[2].

ومن خلال تحليله، نجد أنه يشير لمفهوم الاغتراب بأنه: "العزلة النفسية والاجتماعية للبشر وسط غيرهم من الناس"[3]، وهذا يعني أن الإنسان يغترب عن نفسه نظريًا وعمليًا في ميادين الحياة كلها، بواسطة القيم التي يؤمن بها ويخضع لها على الرغم منه، فهو يغترب عن نفسه نظريًا، وفي الدين و"الميتافيزيقيا" والأخلاق إذ يعرض عن وعيه الحقيقي ومشاكله الحقيقية.

---

[1]- حداد صونية، نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الإحياء، العدد 14، ص 594، 595.

[2]- أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1990، ص 100، 101.

[3]- م.ن، ص 110.

إن الاغتراب في الفكر الماركسي يتماشى والأوضاع الاقتصادية للمجتمع الأوروبـــي في مرحلة زمنيـــة معينة، ومع تطور المجتمع الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي للمجتمع، تطور تحليل مفهوم الاغتراب المحليلين المحدثين له.

2-الاغتراب عند إميل دور كايم:

إنّ مفهوم العالم الفرنسي إيميل دور كايم "للاغتراب فقد ربطه بفكرة تفكك القيم والمعايير الاجتماعية والثقافية وفقدانها السيطرة على السلوك الإنساني وظبطه، وقد تم ذلك في أوروبا نتيجة الثورة الصناعية وما رافقها من ازدهار الروح الرأسمالية وإضعاف القيم والمعايير التقليدية وهذا ما يسمى (Anomie) في مؤلفات "إميل دور كايم"، حيث يشير هذا المصطلح إلى حالة تدهور المعايير التي تضبط العلاقات الاجتماعية، فتنشأ عن ذلك أزمات حادة بين عدّة فئات متنافسة أو متناحرة، ما يهدد الإحساس، إذ تستعمل الفئات القومية وسائل غير عادلة في فرض إرادتها على الفئات الضعيفة، وهذا ما يهدد التماسك الاجتماعي بإنهيار العلاقات الاجتماعية"[1].

لقد تبين لنا مما سبق أن مفهوم الاغتراب ما يزال غامضا ومتعدد المعاني على الرغـــم من تزايد الاهتمـــام به، وكونه موضوعًا محوريًا في مختلف النشاطات الفكرية والفلسفة وعلوم الاجتماع.

3-الاغتراب عند هيجل:

إذا تحدثنا على السياق التاريخي لفكرة الاغتراب، فإنه يجمع الباحثون على أن "هيجل" هو أول من استخدم مصطلح الاغتراب استخدامًا منهجيًا في كتابه "ظاهريات الروح" لكن هذا لا يعني أنه صاغ تصوره النسقي لهذا المصطلح من فراغ، بل كانت هناك محاولات سابقة وأصول استمد منها "هيجل" فكرته الأساسية الاغتراب".[2]

ومن هذا المنطلق عرّف "هيجل" الاغتراب بأنه حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته، فتوظف لصالح غيره بدل أن يستولي هو عليها لصالحه الخاص، وبهذا يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث بما فيها تلك التي تسهم بتحقيق ذاته وطموحاته.

ومن خلال ما سبق توصلنا إلى أن للغربة مكانتها في الفلسفة وتاريخها لا تقل أهمية عن مكانتها في الفنون والأدب شعره ونثره، وذلك سواء من جهة المفهوم والرؤية، أو من جهة المعالجة والتحليل.

---

[1]- بركات حليم، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006، ص 67، 68.

[2]- حداد صونية، نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الإحياء، العدد 14، ص 556.

5- معنى الاغتراب في علم النفس:

إن المنطلق النفسي في تحديد مفهوم الإغتراب فقد كان يدور في إطار العزلة والجدوى، وانعدام المغزى الذي يشكل نمطا من التجربة التي يعيش الإنسان فيه كشيء غريب، ويصبح غريب حتى مع نفسه، والمقصود بالاغتراب عن النفس هو افتقاد المغزى الذاتي الجوهري للعمل الذي يؤديه الإنسان وما يصاحبه من شعور بالفخر والرضا، وبديهي أن اختفاء هذه المزايا من العمل الحديث يخلق شعورا بالاغتراب عن النفس، وهذا ما أشار إليه العالم والفيلسوف "سيغموند فرويد".

1-مفهوم الاغتراب عند فرويد:

يتضح من خلال تحليل فرويد أنه كان مهتما بمفهوم اللاوعي وما يمارسه من سلب للوعي، وقد ظهرت بذور هذا الاهتمام منذ اهتمامه بالبحث في كلّ ما يخص الحالة النفسية للأشخاص، "فقد أشار "فرويد" إلى أهمية الحياة العاطفية في الصحة العقلية كما أنه بين ضرورة التمييز بين الحالات العقلية الشعورية، ومن بين الحالات اللاشعورية، وأشار أيضا إلى أعراض الهستيريا التي تنشأ عن كبت الميول والرغبات فتتحول تحت تأثير هذا الكبت إلى الأعراض الهستيرية".[1]

هكذا كان تصور "فرويد" للاغتراب على أنه شعور الانفصام والصراع الداخلي الذي يكون بين اللاوعي الدفينية في الذات وبين الذات الواعية.

ثانيا: مظاهر الغربة

وللغربة أبعاد ومظاهر ذكرها علماء النّفس والإجتماع وقد أجملت في خمسة مظاهرأساسية وهي: العجز واللامعنى واللامعيارية ووالعزلة الإجتماعية والإغتراب عن الذات.

1- العجز:

فأما العجز فهوشعور الفرد بأنّ لاحول له ولا قوة ولا يستطيع التأثيرفي المواقف الإجتماعية التي يواجهها ويعجز على السيطرة على تصرفاته وانفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره، ومن ثمّ يعجز عن تحقيق ذاته أو يشعر بحالة من الإستسلام والخضوع والعجز وفقدان الرّد وهوتوقع الفرد بأنه لا يملك القدرة على التفكير، وممارسة الأشياء حوله تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه وتولد لديه شعور بالعجز والإحباط وخيبة ألأمل في إمكانية التغيير.[2]

---

[1]- د. عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعارف للنشر والتوزيع، قاهرة، مصر، 1963، ص 45.

[2]-أ.د. يحي الجبوري.الحنين والغربة في الشعر العربي ، ص 18.

إن عانا الفرد من العزلة والضياع يفقد التحكم في انفعالاته، وغالبا ما يشعر أنه ولوأراد تحقيق أهدافه ليس عليه التّصرف بالمقاييس المتعارف عليها إجتماعيا وأخلاقيا أي يشجع الفرد على التّحرر بغية فرض ذاته.

2 – اللامعنى:

وأما اللامعنى أوانعدام المعنى فهو توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك. كما يقول "سيمان" فالفرد يغترب عندما يكون واضحا لديه ما يجب عليه أن يؤمن به أويثق به " ولذلك يرى الإنسان المغترب أن الحياة لامعنى لها لأنها تسيير وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، ومن ثم يعيش حياة التفاهة واللامبالاة.[1]

ضياع الفرد في الحياة معناه الإنتقالات من كل مقويات كينونته مما يجعله يفقد طعم الحياة وسبب ضياع المغترب بالنسبة لوجوده، ولغياب هذين يجد نفسه غير قادر على إستعاب منهم محيطه ووجوده.

3– التّمرد:

ويقصد به شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع، وعدم الإنصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرّفض والكراهية والعداء لكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير، وقد يكون التّمرد على النفس أو على المجتمع بما يحتويه من أنظمة ومؤسسات، أوموضوعات وقضايا أخرى.[2]

ومنه نستنتج أنّ التّمرد قرار يصنعه الفرد لنفسه، نتيجة الظغوطات النفسية والإجتماعية التي تؤثر سلبا على حياته، والرفض التام للعادات والتقاليد.

4 – العزلة الإجتماعية:

ويراد بها "شعور الفرد بالوحدة والفراغ النّفسي والإفتقاد إلى الأمن والعلاقات الإجتماعية الحميمية، والبعد عن الآخرين حتى وإن وجد بينهم، ويصاحب العزلة الشعور بالرفض الإجتماعي والإنعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع والإنفصال بين أهداف الفرد وبين قيم المجتمع ومعاييره".[3]

إن وجد الإنسان أن علاقته مع حياته أصبحت تشبه علاقة الإنسان بدائي مع الصنم يحيا بعدها حياة عزلة واغتراب لا يُقدر بعدها قيمة أهداف مجتمعه ما يجعله يحس بمسافة كبيرة بينه وبين الآخرين.

---

[1]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة سيكولوجية الإغتراب، ص 41، 42.

[2]– م.ن، ص 19، 20.

[3]– م.ن، ص.ن.

5–اللامعيارية Normlessness:

وتسمى (الأنوميا)، وهي حالة تصيب المجتمع، أي حالة إنهيار المعايير التي تنظّم السلوك وتوجهه، وهي كما يقول (سيمان): "الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة، أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة إجتماعيًا، غدت مقبولة تجاه أية أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أية ظوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صوابًا، وما كان صوابًا أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ منطلق إضفاء صبغة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن المعايير وقواعد وقوانين المجتمع".[1]

إن الانهيار الذي يصيب المجتمع وسلوكات الفرد هي ناتجة عن الضوابط المعيارية المغلوطة التي تسير الفرد من قوانين والقواعد التي تحكم المجتمع.

6 – الإغتراب عن الذات (الذات المعاكسة لذاتها):

ويراد به عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالإنفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويشعر أن لامعنى لحياته كما يشعر باغترابه عن ذاته.

ويتحدد مفهوم الإغتراب في الشّخصية في عدم التّكليف وعدم الثقة بالنّفس والمخاوف المرضية والقلق والرهاب الإجتماعي، وغياب الإحساس بالتماسك والتكامل الدّاخلي في الشخصية، مع ضعف الشعور بالهوية والإنتماء وعدم الإحساس بالأمن.

وينظر إلى الإغتراب عن الذات باعتباره اظطرابا نفسيا يتمثل في إظطراب الشخصية الفصامية، ويتسم الشّخص الفصامي بالعجز عن إقامة علاقات إجتماعية، والإفتقار إلى مشاعر الدفـــئ واللين أو الرقة مع الآخرين، فهناك تشابه بين إغتراب الذات وإظطراب الشخصية الفصامية في أنهما يشيران إلى صعوبة إستمرارية العلاقات الإجتماعية مع الآخرين من أفراد المجتمع.[2]

إن ابتعاد الفرد عن بقية أشباهه من البشر يرجع ذلك إلى التفاضل الإجتماعي، أي أنّ كل إنسان له حياة خاصة يرغب في العيش فيها، فيتمرّد على نفسه بغيّة العيش والوصول إلى ما يرغب به، ولأنه إجتماعي فقد يرغب بالوحدة حتى يشعر بالسعادة في مجتمعه.

ثالثا: مفهوم الذات

إنّ مفهوم الذات يمثل مفتاح الشخصية والمدخل الرئيسي لخصائصها ومقوماتها في مختلف جوانب تفاعلها مع البيئة وعلاقتها الدينامية معها، حيث يتشكل مفهوم الذات في المجال الظاهري الذي يعيش فيه الفرد ويعي به

[1]– أ.د. يحي الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الأوطان)، ص 18.

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة سيكولوجية الإغتراب، ص 19، 20.

ذاته، كما أنه يتأثر بما يتمتع من قدرات عقلية ودوافع نفسية تحكم سلوكه وتوجهه في مختلف مجالاته فلا تفهم الشّخصية، وكذلك سلوك الشّخص الظاهري سويا كان أم منحرفا إلا في ضوء هذه الصورة الكليّة التي يكونها عن ذاته.

ولم يعرف الإنسان الذات كما عرفها في الوقت الحاضر من حيث كونها مصطلحا نفسيا له دلالته فلا توجد لغة في العالم سواء كانت قديمة أم حديثة وعلى إختلاف الحضارات، إلا واستخدمت ألفاظا مثل "أنا" و"نفسي" و"لي" التي تدلّ على كنة النّفس لذا فإننا نجد صدور هذا المفهوم قديمة جدا،حيث تشير المصادر والأبحاث إلى أنّ بداياتها قبل الميلاد على الرّغم من إختلاف المفهوم، وإن بعض الأفكار السائدة في الوقت الحاضر والتي ترجع أصولها إلى "هوميروس" الذي ميّز بين الجسم المادّي والوظيفة غير المادّية للكائن الإنساني والتي أطلق عليها فيما بعد بالنّفس أوالروح .[1]

إن ما يحمله الفرد من مفهوم حول ذاته له دور كبير في شخصيته وسلوكاته، فالإنسان هوالوحيد الذي يدرك ذاته وهوما يميزه عن بقية الكائنات.

1-الذات لغة:

وإذا أردنا تعريف كلمة الذّات فنعرفها كما ذكرت في "لسان العرب". ذات الشيء نفس الشيء عينه وجوهره، فهذه الكلمة لغويا مرادفة لكلمة "النّفس"والشيء، ويعتبر الذات أعمق من الشّخص لأنّ الذات تطلق على الجسم وغيره والشّخص لايطلق إلا على الجسم فقط .[2]

2-الذّات اصطلاحا:

عرّف"روجرز" مفهوم الذات بأنها الكل الإدراكي المنسّق المنظّم المركب في إدراكات الفرد لذاته، ومفهومه لإدراك الآخرين عن ذاته، وهو صورة الشّخص الذهنية عن ذاته متضمنا بشكل خاص الوعي بالوجوه، وما يمكن أن يكون بالإضافة إلى الذات المثالية وهو يطمح أن يكوّنه الشخص، وتبقى الذات منظمة بالرغم من كونها متغيرة نتيجة خبرات الفرد.

أما "زهوان" فقد عرّفه بأنه" تكوين معرفي منظم ومتعلم المدركات الشعورية والتصورات والتقييمات الخاصة بالذات، يبلوره الفرد ويعتبره نفسيا لذاته" ويتكون مفهوم الذات من أفكار الفرد الذاتية المنسّقة ومحددة الأبعاد،وينقسم مفهوم الذات المدرك ويحدد وصف الفرد في ذاته كما يتصورها هو.[3]

---

[1]- أ.المساعد الدكتور محمد كاظم جاسم الجيزاني، مفهوم الذات الونضج الاجتماعي بين الواقع والمثالية، د.ت، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، مؤسسة دار الصادق، عمان، 2011، ص 23.

[2]- ابن منظور، قاموس لسان العرب، دار المعرفة، القاهرة.

[3]- أ.م.د. محمد كاظم جاسم الجيزاني، مفهوم الذات والنضج الإجتماعي بين الواقع والمثالية، ص23

ومفهوم الذات الإجتماعي يحدد الصورة التي يعتقد الفرد أنّ الآخرين يتصورونها، والتي يمثلها الفرد من خلال التفاعل الإجتماعي مع الآخرين ومفهوم الذات المثالي، "وهي المدركاة والتصورات التي تحدد الصّورة المثالية للشخص التي يود أن يكون عليها، وهناك مفهوم الذات الخاص الذي يختص بالذات الخاصة أي الجزء الشعوري".[1]

كما أنّ "صالح" "عرفها الصّورة التي يعرف بها نفسه، وهي الإطارالذي يستطيع الإنسان أن يطبع الإنسان نفسه فيه بحيث يكون مهتما لما في نسه.

ويرى "عبد الله" بأن مفهوم الذات "الصورة التي يحملها الشّخص عن نفسه وتشمل آرائه أومعتقداته فيما يتعلق بصحته عامة ومظهره ونزعاته وقدراته ونواحي الضعف لديه ومدى تأثيره على الآخرين وهي الصورة التي تعتمد على حكم الشّخص على نفسه والذي قد لا يكون دقيقا بالضرورة.

ويرى "بيتس" أن مفهوم الذات في مقياس "تنسي"أنه مزيج من عمليات وعوامل ذاتية غير محددة المعالم.

ويرى "روجرز" في نظريته عن الذات أنّها تتمايز من الجمال الإدراكي الكلّي.والذات هي وعي الفرد الموجود ونشاطه أوهي مجموعة من الخبرات التي تنسب جميعها إلى شيء واحد هو"أنا".

كما قام بتعريفه"كولي"بأنه تقييم الفرد لذاته أو فكرته عن ذاته التي تشكل نواة نظام القيم التي يحملها عن نفسه أساسا تبنى عليه حياته، أما "ستيك" عرفه بوصفه المجال الذي يبيّن صفات الذات الإنسانية التي تنطوي على معان تقييمية أو قيمية".[2]

وفي الأخير نستنتج أن كل هذه التعريفات الإصطلاحية لمفهوم الذات وتعددها، هي تعريفات عميقة تتعلق بذات الفرد.

[1]– شموس عبد الله عسكر سليمان، مفهوم الذات وعلاقته بالجدية بالعمل لدى المرشدين التربويين في المدارس الحكومية شمال الضفة الغربية، جامعة القدس المفتوحة، رسالة ماجستير،1434هـ – 2013م، ص15

[2] – شموس عبد الله عسكر سليمان، مفهوم الذات وعلاقته بالجدية بالعمل لدى المرشدين التربويين في المدارس الحكومية شمال الضفة الغربية،ص16.

الفصل الثاني:

تجليات غربة الذات في نصوص مختارة لجبران خليل جبران

أولا: سيرة جبران خليل جبران

1-حداثته

2-هجرة جبران

3-جبران يدرس في لبنان

4-عودته إلى بوسطن

5-جبران في باريس.

6-جبران في نيويورك

7-مؤلفات جبران خليل جبران

8-وفاته

ثانيا: تجربة الغربة عند جبران

ثالثا: مظاهر الغربة

1-العجز الذاتي

2-اللامعنى

3-التمرد

2-العزلة الاجتماعية

5-اللامعيارية

6-الاغتراب عن الذات

ثالثا: مفهوم الذات

1-المعنى اللغوي للذات

2-المعنى الاصطلاحي للذات

أولا: سيرة جبران خليل جبران

1- حداثته:

ولد جبران في السادس من كانون الثاني 1883 م في بلدة "بشّري" المجاورة لأرز الربّ، والرابطة على كتف الوادي المقدّس و"قنّوبين"، والده "خليل" المكلف جباية الرسوم على الماشية، في "جرود" شمالي لبنان، أمه كاملة إبنة الخوري اسطفان رحمة، كانت ذات ثقافة محدودة، غير أنها كانت تتحلى بإرادة وهمّة قويتين ساعدتاها على تدبير شؤون المنزل ورعاية أولادها الأربعة، بطرس من زوجها الأول، وجبران ومريانا وسلطانة.[1]

ما إن بلغ الخامسة حتى أدخل في مدرسة "دير مار يشاع" القريب من بشّري، فتلقى مبادئ الكتابة والقراءة، وكان مواطنه الطبيب "سليم الظاهر" يساعده في تعلمه وفي تنمية موهبة الرّسم التي ظهرت فيه، إلى ذلك كان جبران الصغير يتمتع في انصرافه إلى انصرافه إلى الطبيعة الخلابة التي تتميز بها المنطقة، وظلّ جمالها منطبعا في نفسه، وحتما لايفارقه، ففي إحدى رسائله إلى ابن عمه "نخلة" يقول: "هل يأتي ربيع حياتنا ثانية فنفرح مع الأشجار ونبتسم مع الزهور ونركض وراء السّواقي ونترنم مع العصافير مثلما كنا نفعل في بشّري..."[2]

إن تعلق جبران الشديد بالمكان الذي عاش فيه طفولته، أثرت على حياته وأغلب مؤلفاته وإبداعاته في الفن والشعر والأدب.

2-هجرة جبران:

لم ينعم جبران في حداثته، إذ ضاقت أسباب الحياة أمام عائلته،لأن الأب اتهم باختلاس ماكان يأتي به من الرسوم، وسجن وحجزت أملاكه، فما كان من الأم إلا أن غادرت الوطن، ومعها أولادها الأربعة، قاصدة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نزلت في حي الصينيين في "بوطسن" وكان ذلك سنة 1895م.

وفي بوطسن عملت كاملة وبطرس في التجارة، والإبنتان "مريانا وسلطانة في خدمة الجيران، أما جبران فأدخل في مدرسة وكان يقضي معظم أوقاته في الرّسم ومطالعة الروايات الإنجليزية التي كانت معلمة اللغة الإنجليزية تختارها له".[3]

لقد أثرت على جبران هجرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تأثيرا كبيرا والتي كانت على المدى البعيد فكانت بمثابة النقلة النوعية في حياته الشخصية والأدبية.

---

[1]-أنطوان القوال ، جمع وتقديم المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، دار الجيل للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1414هـ- 1994 م ،ص 11

[2]- م.ن، ص 12

[3]- م.ن، ص 12.

3- جبران يدرس في لبنان:

في سنة 1898م أرسل جبران إلى لبنان ليدرس اللّغتين العربية والفرنسية، فالتحق بمعهد "الحكمة" في بيروت، حيث تلقى دروسه على يد مشاهير الأساتذة يومذاك أمثال الخوري يوسف الحداد، وأمضى في الحكمة مدة ثلاث سنوات، تبلورت من خلالها مواهبه في الرّسم والكتابة. "وكان يتردد في فيصل الصيف إلى مسقط رأسه بشّري، فيزور أقاربه ورفاقه، وفي بشّري يومذاك تعرّف إلى فتاة من أهل الغنى وأحبها، ولكن تقاليد المجتمع حالت دون زواجهما فذاق الحبيبان كثيرا من قسوة الحرمان والظلم".[1]

بعد التحاق جبران إلى معهد الحكمة الذي استطاع من خلاله تعلم الفرنسية، على يد أساتذة معروفين وذو كفاءات عالية، فمن خلال هذا أصبح جبران يبدع في كتاباته ورسوماته.

4- عودته إلى بوطسن:

وفي سنة 1901 عاد جبران إلى بوسطن، مثقلا بالمعرفة وألم الخيبة بالحب، وكان هذا الألم فاتحة لسلسلة من الآلام، ألتي عاناها جبران، وتمثلت بفقده شقيقته "سلطانة" ثم أخيه "بطرس"ثم أمه، ولكن هذه المآسي المتلاحقة لم تهدّ من عزمه، مع أنه لم يبق له من معين إلا أخته مريانا، فتابع محاولاته في الكتابة والرّسم، وفي سنة 1904 أقام جبران أول معرض له في الرّسم وشاءت الأقدارأن يتعرف إلى سيدة أمريكية ثرية راقية هي "ماري هاسكل" كانت زارت المعرض وأعجبت برسوم جبران، وكان هذا اللّقاء نقطة تحول في حياته، وبداية ترقّي سلم الشهرة.[2]

وفي السنة نفسها، بدأ جبران ينشر مقالاته في جريدة "المهاجر" لصاحبها "أمين الغريب" فاستأثر أسلوبه الجديد إعجاب القراء، مما شجعه على إصدار (الموسيقى،وعرائس المروج سنة 1905) و(الأرواح المتمردة سنة 1908).

لقد تعرض جبران لخيبات عديدة أولها الخيبة التي عاد بها من لبنان إلى بوطسن وثانيها وفاة شقيقته سلطانة وأخيه بطرس وأمه، لكن هذا لم يمنعه من متابعة الرسم والكتابة ففي سنة 1904 كان لجبران أول معرض له للرسم وكانت هذه أول بداياته في سلم الشهرة، وفي السنة نفسها بدأ جبران ينشر مقالاته في جريدة المهجر التي أثارت إعجاب القراء، مما شجعه على الإبداع في مجال الكتابة فمن هنا توالت اصداراته المتتالية في الروايات.

[1]-أنطوان القوال ، جمع وتقديم المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ص 13.

[2]- م.ن، ص 13.

5- جبران في باريس:

قدّرت "ماري هاسكل" مواهب جبران، وكان الحب قد جمع بينهما، فأرسلته إلى باريس سنة(1908م) ليدرس أصول الرّسم في معاهدها العالية، وفي باريس وفي الحي اللاتيني تعرف على الأدباء والفنّانين ولا سيما النّحات الكبير "أوغيست رودان"، واجتهد طوال السنوات تخصصه الثلاث، وزار مدن فرنسا، ومتاحف إيطاليا وبلجيكا وإنجلترا وروائعها الفنية."[1]

كانت رحلة جبران إلى باريس بمثابة قفزة نوعية في حياته وعالمه، خاصة فيما يخص إبداعاته الفنية والأدبية وهذا بفضل إجتهاده ومثابرته في تحقيق حلمه.

6- جبران في نيويورك:

عاد جبران إلى بوسطن ومنها انتقل سنة 1912م إلى نيويورك، حيث استقر بعد أن لمع نجمه في عالمي الأدب والرسم، وهناك في طابق علوي من بناية قديمة تخالها أحد أديرة لبنان التاريخية، في جوف "صومعة" فسيحة هادئة، عزل جبران نفسه منصرفا الى الرّسم والتأليف باللغتين الإنجليزية والعربية، فتوالت إصداراته ومؤلفاته من 1912 إلى غاية 1920 .[2]

وبفضل جهده وعطاءاته في الأدب والرّسم أصبح جبران قبلة أنظار أدباء المهجر، فالتفوا حوله وأسسوا مع بعضهم الرابطة القلمية سنة 1920 .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن حياة جبران كانت عبارة عن خيبات متتالية، إلا أنه واصل في تحقيق أحلامه وما كان يصبوا إليه، بفضل اجتهاده ومثابرته الدائمة حتى صار قبلة لأنظار كل الأدباء.

7- مؤلفات جبران خليل جبران:

كان جبران فنانا قبل كل شيء، وهو لم يختبر موهبته الفنية في الأدب وحده، بل مارس الرّسم بالفحم والرّسم الزّيتي أيضا وكانت الموسيقى فنا أثيرا لديه، فقد بدأ حياته الأدبية بمقالة متميزة عن الموسيقى، ربط فيها كأي رومانتيكي أصيل، بين الموسيقى والشعر والرّسم، فرأى أن "... الموسيقى كالشعر والتصوير، تمثل حالات الإنسان المختلفة، ترسم أشباح أطوار القلب وتوضح أخيلة وميول النفس، وتصوغ ما يجول في الخاطر، وتصف أجمل مشتهيات الجسد"[3]، وهو لم يكتف بذلك بل جعل سلطانها شاملا لكل جوانب النّفس الإنسانية .

---

[1]- أنطوان القوال ، جمع وتقديم المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، ص 14، 15.

[2]- م.ن، ص 15.

[3]- د. فؤاد مرعي، المجموعة لجبران خليل جبران، دراسات الوحدة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، 2012، ص 20.

لقد تعددت مواهب جبران خليل جبران الفنية في الأدب والرّسم والموسيقى، فكانت نجاحاته المتتالية بفضل العمل الجاد ومثابرته في تحقيق ماكان يصبوا إليه.

أ– مؤلفات جبران خليل جبران باللغة العربية:

إنّ مؤلفات جبران خليل جبران المبكرة، وقصصه القصيرة ومقاطعه النثرية، وقصته الطويلة المشحونة بالعاطفة ومشغولة بالبحث عن انسجام العالم وتناغمه اللذين يجب أن ينبعثا من الحب والجمال.

- **الموسيقى**: سنة 1905م.
- **عرائس المروج**: سنة 1906 م.
- **الأرواح المتمردة**: سنة 1908 م.[1]
- **الأجنحة المتكسرة**: سنة 1912 م.
- **دمعة وابتسامة**: سنة 1914 م.
- **المواكب**: سنة 1919 م.
- **العواصف**: سنة 1920 م.
- **البدائع والطرائف**: سنة 1923 م.

ب – مؤلفات جبران خليل جبران باللغة الإنجليزية:

يظهر في عام 1917 أول كتب جبران المكتوبة باللغة الإنجليزية "المجنون "، وفيه يواصل الكاتب تطوير موضوع وحدانية الشاعر الذي يسميه فيها مجنونا حصل على حريته في وحدته. هكذا وصل جبران بالتدريج إلى موضوع كتابه الأساسي "النبي" سنة 1923 الذي يطرح فيه آرائه وأفكاره حول قضايا الإنسان الخالدة.

يعد عام 1920 عام انعطاف أساسي في إبداع جبران خليل جبران ففيه ينتقل نهائيا إلى الكتابة باللغة الإنجليزية. "إن الإنتقال من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية كان عند جبران نتيجة استعداد نفسي وابداعي للقيام بدور النبي المعلم الساعي إلى تعليم القارئ الغربي روحانية الشرق بعد إزالة الحاجز اللغـــوي بينه وبين ذلك القارئ، وكان في الوقت نفسه مرحلة جديدة في تطور الوعي الإبداعي عنده، وفي إدراكه لعالمية رسالته الفكرية وشمولها."[2] ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى ظاهرة طريفة من ظواهر التناغم بين ممثلي الرومانتيكية في الغرب ورومانتيكية أديبنا الفذ، فمن المعروف أن الشرق شغل مكانة خاصة في إبداع الشاعر الأمريكي "إيميرسيون" فكان

[1]–د. درويش الجويدي، موسوعة جبران خليل جبران العربية، دار صيدا للتوزيع، بيروت، 2017، ص126

[2]–د. فؤاد مرعي، المجموعة لجبران خليل جبران، ص 28–30.

بالنسبة إليه يوتوبيا رومانتيكيا ومصدرا للحكمة يقف موقف النقيض من أمريكا البرجوازية التي تقيس كل شيئ بمقياس المصلحة المادية، وقد عالج جبران، الذي لا نشك باطلاعه الجيد على أعمال إيميرسون، هذا الموضوع نفسه في كتاباته باللغة الإنجليزية، ولكن أي قارئ منصف سيرى أن أعمال جبران تمتاز بمحتوى فلسفي أكثر غنى وعمقا.

ولعله من المناسب أيضا، ونحن نتحدث عن أعمال جبران في مرحلة الكتابة باللغة الإنجليزية، أن نشير إلى أنها امتازت من كتاباته باللغة العربية بصورها الفنية التجريدية ورمزيتها التي تختلف عن رمزية أعمال المرحلة الأولى.

ويكفي للدليل على ذلك أن يقارن القارئ بين مجموعة دمعة وابتسامة من المرحلة الأولى وآلهة الأرض من المرحلة الثانية لتتجلى له صحة ما نقول تماما.

8- وفاة جبران خليل جبران:

توفي جبران خليل جبران في نيويورك في أبريل 1931،[1] وهو في ال 48 من عمره كان سبب الوفاة هوتليف الكبد والسل، وكانت أمنية جبران أن يدفن في لبنان، وقد تحققت له ذلك في 1932 دفن جبران في صومعته القديمة في لبنان، فيما عرف لاحقا باسم "متحف جبران، وبعد وفاته صدر " التائه" 1932 و"حديقة النبي" وكلاهما بالإنجليزية، وبقي الكثير من آثاره ينتظر الكشف والجمع والصدور.

لايزال جبران، بعد رحيله يشغل الناس بأدبه وفنه كما كان يشغلهم في حضوره، فالآداب العربية لم تعرف حتى الآن أديبا كان له الأثر الذي كان لجبران، إذ أنه كان فاصل تاريخي حاسم.

إنّ جبران كما عرفه "حنّا الفاخوري"، "عبقرية خالدة تخطّت جدود المكان والزمان، وكان لها تحت كل كوب مملكة وسلطان، نطقت بالكلمة فردّدها الكون بكل لغة ولسان".[2]

ثانيا: تجربة الغربة عند جبران

إنّ الظروف المعيشة التي تُنمي نفسية الأديب تشابه السدود أو الحواجز التي تعترض مجرى نهر حياته، فتوقف المياه حينًا وتدفعها حينًا آخر في مجارٍ جديدة مخالفة لسيرها العفوي، مولدة بذلك إنسانا جديدا لم يخطر في حساب القدر. فكم من مصارع يعترف أمامك وأمام نفسه أن الذي فجّر فيه التوق لانتهاج خط الغطرسة العضلية صفعة تلقاها ومنعه الضّعف من ردّها، فاستعبده شبح الثأر مدى حياته. لذلك يغريني الحكم على هذه الظروف بأنها "حوافز خلاّقة" تبدع ما لم يكن بالحسبان، فتخلق كائنا جديدًا، وفي حياة كلّ إنسان حلقات من

[1]- د. فؤاد مرعي، المجموعة لجبران خليل جبران، ص 25، 26.

[2]-جبران خليل جبران، الاعمال الكاملة ، المكتبة الثقافية، بيروت، ص 4

هذه الدوافع الخفيّة، إذا تتبّعناها أبصرنا حواجز نهر حياته وسدوده، ولمسنا الحوافز الخلاّقة التي فعلت خفية تحت أجنحة وعيه وخارج إطار بصيرته، فخلقته كما لم يكن في الحسبان أن يكون. وفي هذه الظروف–الحوافز التي ينبغي أن يسعى إلى كشفها كاتب سيرة الأديب، ليتمكّن من فهم نتاجه الفكري وتفسيره وهو ما حاولنا تحقيقه في الحديث عن جبران.[1]

إنّ جميع كتابات جبران تكتنفها تجربة الغربة تجدها ظاهرة بارزة للعيان، شعوره المتواصل والدائم بالغربة جعل منه متمردا مع العالم الخارجي، لأنه ولطالما أراد رؤية بلده مع الدول المتقدمة، ولذلك كان يشعر بالأسف لرؤية ما يحدث في لبنان، جعل منه يثور ويتمرد لعدم قبوله لهذه الحياة البائسة، قد يعيش الإنسان في بيئة ناقصة فيتعايش مع الوضع مع الوقت، لكن الشاعر لا يرضى بالنقائص لذلك يسعى في البحث عن الكمال وإن لم يجده في واقعه يجده في داخله.

لكل أديب وشاعر مكان يغادر إليه كلما اشتدت غربته ويحاصره مجتمعه يرحل حيث السلام والأمان إلى ما لا يعرفه أي أحد غيره هو إلى الخيال. يقول في قصيدة البلاد المحجوبة:

هُو ذَا الفَجرُ فَقُومي نَنصرف عَن دِيَار مَا لَنا فِيهَـــــا صَـــدِيق
مَا عَسى يَرْجو نَبَات يَخْتَلف زَهَره عَن كُـــــل وَردٍ وَ شَقِيـــق
وَجَدِيـــــد القَلْب أَنى يَأْتَلِف مَعَ قُلُوب كلُّ مَـــا فِيهَـــــا عَتِيق
هُو ذَا الصُبْح يُنَادِي فَاسْمَعي وَهَلُمـــــي نَقتَفـــي خُطُـــــوَاته
قَد كَفَانَـــــا مِن مَساءٍ يَدّعِي أَن نُور الصُبْح مِـــــنْ آيَاتِه(...)
يَا بِلاَد الفِكْـر يَا مَهْد الأَلَى عَبَدُوا الحَـقّ وَصَلّـوا لِلجَمَـــال
مَا طَلَبنَـــاك برَكْب أَو عَلَـــى مَتْن سُفُـــن أَو بَخَيـــل وَرِحَـال
لَسَت فِي الشَرْق وَلاَ الغَرْب وَلاَ فِي جَنُوب الأَرْض أَو نَحْو الشَمَال
لَستَ فِي الجَو وَلاَ تَحْتَ البِحَار لَستَ فِي السَهل وَلاَ الوَعِر والحَرِج
أَنْت فِي الأَرْواحِ أَنْـــوَار وَنَار أَنْت فِي صَدْرِي فَـــؤَادِي يَخْتَلِج.[2]

[1]– غسان خالد، جبران الفيلسوف، ط2، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، 1983، ص 17، 18.

[2]– جبران خليل جبران، البدائع والطرائف (الأرض المحجوبة)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، ص 93، 94.

جبران دائم السفر على بلاد المحجوبة فقد وجد فيها كل ما ينشد القيم الإنسانية حيث العدل والأمان بعيدا عن الظلم والاستبداد والتخلف.

جبران في قصيدة "المواكب" يدعو إلى التحرّر من قيود المجتمع المدني والهروب إلى الغاب بعيدا عن قوانينه التي خنقت كل من الأديب والشاعر، نجد جبران يدعو إلى حيث لا يوجد الظلم والاستعباد حيث لا مكان للتفاوت، بل إلى وميض الأمل والحرية إلى الغاب دون قيود، أين يثور الفرد على قيم مجتمعه الفاسدة حين يشعر أن المجتمع يدّمره ويطمس شخصيته، فقد شاع اختلال التوازن في المجتمع وخضوع الناس كالقطعان الأوامر دون هدف، فجبران قاد مواكبة إلى الغاب حيث لا رِعٍ ولا قطيع، أين يتحقق الخير والصدق والعدل، يدعو إلى الحياة الصافية الخالية من المفاسد التي أنهت فطرة الإنسان وقيمته وأخلاقه وجعلته مغتربًا عن جوهره وبعيدًا عن ماهيته وعبدًا للمدينة التي أذهبت فيه الشعور بالإنسانية، وفي قصيدته التي تحمل من الخير والسعادة والحب والدين ووصف للطبيعة (وصف لبنان) يقول:

لَيْـــس فِـي الغَـابَـات مَوْت ... لاَ وَلاَ فِيهَـــــا القُبُـــــور
فَـــإِذَا يَنْسَـــــان وَلَـــى ... لَـــمْ يَمُـــت مَعَـه السُـــرُور
إِنَ هَـــوْل المَـــوْت وَهْمٌ ... يَنشَـــي طَـــيّ الصُـــدُور
فَالـــذِي عَـــــــاش رَبِيعًا ... كَـــالذِي عَـــاش الدُهُـــور(...)
هَـــل تخذْت الغَـــاب مِثْلي ... مَنْـــــزلا دُونَ القُصُـــــور
فَتَتبعْـــت السَـــوَاقِـــي ... وَتَسلّقْـــــت الصُخُـــــور؟
هَـــل تَحَمَمـــت بِعِطـــرٍ ... وَتَنشَقـــــــت بِنُـــــورْ
وَشَـــرِبت الفَـــجرَ خَمـــرًا ... فِـــي كُـــؤُوس مِـــن أَثِيـــر؟
هَـــل جَلَسْت العَصْـــر مِثْلي ... بَيـــن جُفَنَـــــات العِنَب
وَالعِنَـــاقيد تَـــدلّـــت ... كُثْـــريـــات الذَّهَـــب
هِـــي لِلْصَـــادي عُيُـــون ... وَلِمَـــن جَـــاع الطَعَـــام
وَهِـــي شَهْـــد وهِـــي عِطْـــر ... وَلِمَـــن شَـــاء المدَام (...)
العَيشُ فِي الغَاب وَالأَيَام لَو نَظَمت ... فَإِن قَبْضَتي لَغدتُ فِي الغَاب تَنْتَشر[1]

من خلال هذه الأبيات يتبيّن أن جبران يدعو إلى مغادرة المدينة والولوج إلى الطبيعة، حيث النقاء والأجواء التي تعيد الإنسان وترمّمه لتكوّن منه شخصًا مسالمًا وكائنا عفويًا.

[1]- جبران خليل جبران، المواكب، دار نوبليس للنشر، بيروت، لبنان، ص 90، 93.

نجد في كتابات جبران مرآة تعكس اغترابه، والتحرر من كـــل ما هو قديم ودعـــوة إلى التطوّر ومواكبـة العصر، فقد تمكّن من خلال تمرّده تحقيق الانسجام الاجتماعي وتجلّى ذلك في رفضه ككل مظاهر الظلم والاستبداد، لأن الثورة على المجتمع لا تتوقف فقط عليه لأن فيه نقائص وإنما من أجل تطويره لا تدميره، رفض جميع القيم الزائفة التي يتمسك إلى التجديد والمضي نحو الأفضل والرغبة في تغيير هذا المجتمع نلمس صوت التمرد في قصيدة موجها إياها للعالم:

أنا غريب في هذا العالم.

أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشية موجعة، غير أنها تجعلني أن أفكر أبدا بوطن سحري لا أعرفه، وتملأ أحلامي بأشباح أرض قصية ما رأتها عيني.

أنا غريب عن أهلي وخلاّني، فإذا ما لقيت واحد منهم أقول في ذاتي: "ما هذا، وكيف عرفته، وأي ناموس يجمعني به، ولماذا أقترب منه وأجالسه؟".

أنا غريب عن نفسي، فإذا ما سمعت لساني متكلمًا تستغرب أذني صوتي، وقد أرى ذاتي الخفيّة ضاحكـة بالحية، مستبسلة، خائفة، فيعجب كياني بكياني، وتستفســر روحــي، ولكنني أبقى مجهولاً، مستترًا، مكتنفًا بالضباب، محجوبًا بالسكوت.

أنا غريب عن جسدي، وكلما وقفت أمام المرآة أرى في وجهي ما لا تشعر به نفسي، وأجد في عيني مالا تكنه أعماقي (...)

أَنا غَرِيب فِي هَذَا العَالَم.

أَنا غَرِيب وَقَد حَيثُ مَشَارِق الأَرْض وَمَغَارِبِها

فَلَم أَجِد مَسْقَط رَأْسِي ولَا لَقيت مَن يَعْرِفُني وَلاَ مَن يَسْمَع بِي(...)

أَنَا غَرِيب وَلَيْس فِي الوُجُود مَن يَعْرِف كَلِمَة مَن لُغَة نَفْسي (...)

أَنا شَاعر أَنظُم مَا تَنشُره الحَيَاة وَأَنثُر مَا تَنظُمه، وَلِهَذا أَنَا غَرِيب وَسَأبقَى غَرِيبًا حَتى تَخْطفني المَنَايا وَتحْمِلني إِلَى وَطَنِي.[1]

من خلال الأبيات يتضح جليا أن الغربة خلقت من جبران شخصا متمردا على كل مظاهر الحياة.

[1]- جبران خليل جبران، العواصف، دار العرب للبستاني، القاهرة، ص 161، 163.

2-العجز الذاتي:

الألم يصقل النفس، ويغذي المحبة، وهو الطريق إلى الحــق، وإلى العظمة الروحيــة، فالمحارة العائشة بلا ألم فارغة، والألم الذي تحمله المحارة في أحشائها يتبلور لؤلؤة خارقة الجمال، بل إنه الحارس الذي يصون اتزان النفس بالتضحية، ويشفي أمراضها.[1]

يقول جبران في توطئة دمعة وابتسامة: "أنا لا أبدل أحزان قلبي بأفراح الناس ولا أرضى أن تنقلب الدموع التي تستدّرها الكآبة من جوارحي وتصير ضحكًا، أتمنى أن تبقى حياتي دمعة وابتسامة: دمعة تطهر قلبي وتفهمني أسرار الحياة وغوامضها، وابتسامة تدنيني من أبناء يحدتي وتكون رمز تمجيدي الآلهة-دمعة أشارك بها من سحق القلب، وابتسامة تكون عنوان فرحي بوجودي"[2] ويخاطب الفقير : "يا من ولدت على مهد الشقاء، وربيت في أحضان الذل، وشببت في منازل الاستبداد، أنت الذي تأكل خبزك اليابس بالتنهد، وتشرب مائك العكر ممزوجًا بالدموع والعبرات (...) أنتم يا أحبابي الضعفاء شهداء شرائع الإنسان، أنتم تعساء وتعاستكم نتيجة بغية القوى وجور الحكم وظلم الغني وأنانية عبد الشهوات"[3]، كل كتابات جبران وأبطال جبران متألمون ولا تخلو كتاباته من امتزج الفرح مع الألم وهو مطبوع على حياة جبران منذ ولادته، ويقول أيضا على باب الهيكل: "جئت أسئلكم عمّا بي وأستخبركم عن نفسي فهل بينكم من يستطيع أن يبين قلبي لقلبي ويوضح ذاتي لذاتي؟" ويقول أيضا: "ألا فأخبروني ما هذه الشعلة التي تتقد في صدري وتلتهم قواي وتذيب عواطفي وأميالي؟... وتسكب في كبدي خمرة ممزوجة بمرارة اللذة وحلاوة الأوجاع؟"[4]، ويوحنا المجنون: "والمرء لا تعذبه الاضطهادات إذا كان عادلاً، ولا تفنيه المظالم إذا كان بجانب الحق، فسقراط شرب السم مبتسمًا، وبولس رُجم فارحًا، ولكن هو الضمير الخفي نخالفه فيوجعنا، نخونه فيقضي علينا"[5]، نفسه كانت حرّة بين تلك المروج ولم يسجنوا سوى جسده.

الألم الذي عاشه جبران هو من كان يدفع به إلى الوحدة دومًا ففي كتابه "الأجنحة المتكسرة" يقول : "أما تلك الكآبة التي اتبعت أيام حداثتي فلم تكن ناتجة عن حاجتي إلى الملاهي لأنها كانت متوفرة لدي، ولا عن افتقاري إلى الرفاق لأنني كنت أجدهم أينما ذهبت، بل هي من أعراض علة طبيعيّة في النفس كانت تحبّب إليّ الوحدة والانفراد، وتميت في روحي الميول إلى الملاهي والألعاب، وتخلع عن كتفي أجنحة الصبا، وتجعلني أمام

[1]- غازي فؤاد بركس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدابه ورسمه وشخصيته، د ط، دار الكتاب اللبناني، برقيّا، بيروت ، لبنان، ص 410.

[2]- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة (توطئة)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص 06.

[3]- جبران خليل جبران، العواصف، ص 22.

[4]- م.ن، ص ن.

[5]- جبران خليل جبران، عرائس المروج، يوحنا المجنون، ص 17.

الوجود كحوض مياه بين الجبال يعكس بهدوئه المحزن رسوم الأشباح وألوان الغيوم وخطوط الأغصان، ولكنه لا يجد ممرًا يسير فيه جدولاً مترنمًا إلى البحر"[1].

في رأي جبران أنّ المرء إن لم تحففه الكآبة والألم فإنه لن يعرف حقيقة العالم وسبل البشر وتقاليدهم وميولهم، يقول: "هكذا كانت حياتي قبل أن أبلغ الثامنة عشرة، فتلك السنة هي من ماضي بمقام القمة من الجبل لأنها أوقفتني متؤملاً تجاه هذا العالم وأرتني سبل البشر ومروج ميولهم وعقبات متاعبهم وكهوف شرائعهم وتقاليدهم"[2]، لم يكره هذا الألم أبدا، وإنما اعتبرهُ متعة وجعل منه شيئًا عظيمًا ووصل به الأمر إلى أن قال: "المرء إن لم تحبل به الكآبة، ويتمخض به اليأس، وتضعه المحبة في مهد الأحلام، تظل حياته كصفحة خالية بيضاء في كتاب الكون"[3]، كما اعتبر عذاب بالمسيح إنتصارًا مخاطبا إياه: "أنت على خشبة الصليب المضرحة بالدماء أكثر جلالا ومهابة من ألف ملك على ألف عرش في ألف ملكة، بل أنت بين النزع والموت أشد هولاً وبطشا من ألف قائد في ألف جيش في ألف معركة، أنت بكآبتك أشدّ فرحًا من الربيع بأزهاره، أنت بأوجاعك أهدأ بالاً من الملائكة بسمائها، وأنت بين الجلادين أكثر حرية من نور الشمس"[4] ، ويقول أيضا "وإكليل الشوك على رأسك هو أجلّ وأجمل من تاج بهرام، والمسمار في كفّك أسمى وافخر من صولجان المشتري، وقطرات الدماء على قدميك أنسى لمعانٍ من قلائد عشتروت".[5]

أما في أدبه فأعراض الاضطراب النفسي كانت في موكب صارخ صاخب طليعته الكآبة، ولئن غلغلت الكآبة جذرًا في غربة جبران الروحية الرسوليّة، ومدّت أصلاً في تربة مآسيه ونكباته، فأرومتها تغتذي من اضطرابه النفسي وتمزّقه الداخلي، وهذا الوجه منها الذي تغلب عليه العصابيّة في راجح الظّن هو ما يعنينا هنا. فإنك تكاد لا تلمح فرجة ابتسام ولا تسمع رنّة ضحك في مقالاته وحكاياته طوال المرحلتين الأولى والثانية، حتى مواقف أبطاله جلّها كان مأساويا، وإن طالعتك، في أواخر هذه الحقبة، أمثال "المجنون" بوجه عابث ساخر، فوراء التهكم يضجُّ الألم والمرارة.[6]

هذه الحلقات الحزينة تتواصل في أدبه، متماسك بعضها ببعض، منذ بواكيره. فلا تطلّ عليه ذكرى مولده السادسة والعشرين، حتى تشرئبّ معها الكآبة، وتنتصب أمامه، حياته السالفة كامرأة ضعيفة ينظر إليها فلا يرى

[1]- جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص 13.

[2]- م.ن، ص 14.

[3]- م.ن، ص.ن.

[4]- جبران خليل جبران، العواطف، ص 22.

[5]- م.ن، ص.ن.

[6]- غازي فؤاد براكس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدابه ورسمه وشخصيته، ص 310.

"سوى أوجه السنين الشاحبة كأوجه الأموات، وملامح الآمال والأحـلام والأمانـي المتجعدة كمـلامح الشيوخ"، والحقيقة أنه لا يبصر غير وجهه، وفي وجهه لا يرى سوى الكآبة، والكآبة خرساء، ولذا هي أدهى، وإن تراءى له الأمس "من وراء ضباب التنهّد والأسى"، فالغد يبيّن لنظره "من وراء نقاب الماضي".[1]

الأوضاع المزرية البائسة والأحداث المؤلمة والظروف الصعبة كلها انعكست على حياة جبران فأتعبت نفسيته أهاجت أحزانه وفجرّت آلامه، فراح يبكي ويتألم مع البشرية جمعاء ويشاركهم أحزانهم وآهاتهم، "وكان شاعرًا يرسم بدم القلب ويكتب بعصير الروح ليغني أفراح الإنسانية ويبكي أوجاعها. وكان فنانًا يعبر الخطوط والألوان عن نوازع النفس البشرية ويصوّر آلام الإنسانية وأمالها، قد جنّة كل مواهبه العالية لقيادة البشرية إلى الجمال والخير والحق، وإلى الحب والسعادة والحريّة ... لذلك لا غرابة في أن يبذل حبّه للناس وأن تكون محبّتة "لا تعطي شيئا...لأنها مكتفية بالمحبة"[2].

لم تخلو كتابات جبران من الإنسانية بل وكانت هي الألف والباء في أدبه وكانت بمثابة بستان يفرغ فيه شعوره وخياله، ولابد أن طريقا كهاته كلّفته مقدرًا كبيرًا من الألم.

2-العزلة الاجتماعية:

إنّ النفس الكئيبة تجد راحة بالعزلة والانفراد فتهجر الناس مثلما يبتعد الغزال الجريح عن سربه ويتوارى في كهفه حتى يبرأ أو يموت.

جبران خليل جبران كان شغوفا بالعزلة ويتضايق لوجود أحد معه لأنه يعجز في حضورهم عن الإبداع.

"ونرى أثر هذا البحث المتطرّف عن الذات في الاضطراب الذي عانت منه مشاعر ارتباطه بالمجتمع، وما أورثه ضعفًا في تكيّفه الاجتماعي، ولا نعني بذلك فقدانه اللطف، والبشاشة، وارتياح الناس إلى حضوره، وهي الصفات التي عرف بها بين عشرائه، بل نقصد هذا النزوع إلى الارتداع التلقائي عن مخالطة الناس، وعن الدأب على معاشرتهم"[3]، "يجب أن أكون وحدي. إنّ حضور عقل آخر... يدمّر الأشياء بالنسبة لي. إني أفعل أفضل ما أستطيع فعله وأنا وحيد"[4].

---

[1]- غازي فؤاد براكس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدابه ورسمه وشخصيته، ص 311.

[2]- طنسي زكا، بين نعيمة وجبران، ط3، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، تشرين الأول، أكتوبر 1988، ص 20.

[3]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 82.

[4]- صايغ توفيق، أضواء جديدة على جبران، الدار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص 155.

حضور شخص واحد يضايقه يفسد عليه كل شيء لذلك هو يميل دوما إلى العزلة يقول: "ليس هناك مخلوق بشري، رجلاً كان أو امرأة، يستطيع أن يصرف معه ساعتين أو ثلاثا بدون أن يتمنى تركه لفترة من الزمن"[1].

لم تكن رغبته في الانفراد سببًا في نجاح عمله وفقط، بل إلى مشاعر العدوانية والضغينة التي لم يستطع تبريرها ظنّ أنه يعاني من اضطراب نفسي.

يقول لماري هاسكل: "لابد أنّ بي شيئًا يا ماري، فإني أخذت أضحي مثل مجنوني، إني أرى الناس وأعرف أنهم قوم طيّبون، ما أن أجلس إلى جانبهم أو أتحدث إليهم إلاّ وأحس بقلق وتململ شيطاني، وبرغبة ما في إيذائهم عقليًا. وعندما يتكلمون يطير عقلي بجنون ويرفرف بعنق كطائر أوثقت قدماه بخيط غليظ"[2]، ما نلمسه أيضا في مقاله "الجبابرة" نلمس عدم التكيف الاجتماعي، والعدوانية وثورانه اتجاه الوضع المزري يقول: "أما أنا فقد سكت لأن آذان العالم قد انصرفت عن همس الضعفاء وأنينهم إلى عويل الهاوية وضجتها ... تلك القوى التي لا ترضى بغير المدافع ألسنة...وما عسى أن يصير إليه العالم بعد أن تنتهي الجبابرة من صراعه؟ ... أنا من القائلين بسنة النشوء والارتقاء. وفي عرفي أن هذه السنة تناول بمفاعيلها الكيانات المعنوية...حولي بكل مكان أقزام يرون عن بُعد أشباح لجبابرة متناضلين..."[3]، وفي كتابه دمعة وابتسامة يقول: "البشر ينقسمون إلى طوائف وعشائر وينتمون إلى بلاد وأصقاع وأنا أرى ذاتي غريبًا في بلد واحد وخارجًا عن أمة واحدة، فالأرض كلها وطني، والعائلة البشرية عشيرتي، لأني وجدت الإنسان ضعيفا ومن الصغر أن ينقسم على ذاته"[4]، في عشقه لهذه الذات المنعزلة بتر أمام نفسه الطريق إلى التكيف مع مجتمعه.

يقول أيضا في كتابه "البدائع والطرائف"، في مقال "الوحدة والانفراد": "إنّ الحياة جزيرة في بحر من الوحدة والانفراد. الحياة جزيرة صخورها الأماني، وأشجارها الأحلام، وأزهارها الوحشة، وينابيعها التعطّش، وهي في وسط بحر من الوحدة والانفراد"[5].

---

[1]- صايغ توفيق، أضواء جديدة على جبران، ص 99.

[2]- م.ن، ص 225.

[3]- في عالم الرؤيا، مقالات مختارة لجبران خليل جبران، جمع محمد عبد المجيد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 1955، ص 111، 113.

[4]- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، ص 147.

[5]- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف (الوحدة والانفراد)، ص 69.

نحتاج إلى العزلة لمحاولة إدراك ذواتنا ومعرفة من نكون وهي من أهم المراحل التي تُبنى من ورائها الذّات الجديدة من خلال التأمل والتفكُّر، نتدارك كل ما فاتنا ونحاول تصحيح زلاتنا لنجنّب ذواتنا الإفراط في الاستخدام من خلال الوحدة في رأي جبران.

يكمل فيقول: "حياتك يا أخي، جزيرة منفصلة عن جميع الجزور والأقاليم، ومهما سيّرت من المراكب والزوارق إلى الشواطئ الأخرى، ومهما بلغ شواطئك من الأساطيل والعمارات فأنت أنت الجزيرة المنفردة بآلامها، المستوحدة بأفراحها، البعيدة بحنينها، المجهولة بأسرارها وخفاياها"[1]

العزلة هي موطن المعرفة حسب جبران وتمنح العقل التركيز والفرصة لكشف أسرار الكون لذلك نحن نحتاجها في بعض الأحيان لتنمية الذات وإعادة النظر في مقاصدنا ووجهاتنا في الحياة، لقد كانت العزلة بمثابة الموضوع المركزي والمتكرّر في جميع نصوص جبران عبّر بها عن شعـور الوحـدة وصعوبة التـواصل مع الآخريـن، واستخدامها لها يعكس حالة الانفصال عن العالم الخارجي التي كان يعاني منها.

3-التمرّد:

يقول جبران خليل جبران: الحياة بغير تمرّد كالفصول بغير ربيع...والتمرّد بغير حق كالربيع في الصحراء القاحلة الجرداء...الحياة والتمرّد والحق ثلاثة أقاليم في ذات واحدة لا تقبل الانفصال ولا التغيّر، لقد كان تمرّد جبران تمردًا بلا حدود فاق التوقعات، لكن تمرّده هذا لم يكن تمردًا لأغراض شخصية ولا لأجل لا شيء، بل كان نتيجة لواقعه وواقع مجتمعه، ذاك ما جعل منه يسلك طريق التمرّد.

كان لثورة جبران ضد الظلم والقهر هدف خالص أسمى هو تحقيق الحرية للبشر ونيل سعادتهم كان يدافع على الضعفاء نلمس ذلك في: "فجبران الشاعر المتمرّد في الأجنحة المتكسرة والأرواح المتمردة، وعرائس المروج، وحفار القبور، العواصف، والحالم الهائم في (دمعة وابتسامة) والحكيم المتأمل في المجنون، والسابق، والمواكب، والهادي المبشر في (النبي) هو عينه جبران المحب للإنسانية في كل هذه الكتب، ففي مرحلة التمرّد والثورة رأيناه يهاجم الكهنة المتسلطين على الأرواح والحكام والاقطاعين المسيطرين على الأجساد ورأيناه يحفر القبور ليدفن فيها كلا ما ينغّص سعادة الإنسانية من حماقات بعض أبنائها الذين يعيشون فيها فسادًا ليبنوا لأنفسهم مجدًا وجاهًا وسلطانًا وثروة على حساب البعض الآخر...ويدعون كلّ ما يعملون شرائع مقدّسة"[2]، نلمس في فنه وشاعريته محاولة لإيقاظ الناس نحو الوصول إلى غاياتهم وترسيخها، "ففي هذه المرحلة ثار ثورته المشهورة على كل ما في

[1]- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف (الوحدة والانفراد)، ص.ن.

[2]- طنسي زكا، بين نعيمة وجبران، ص 21.

الحياة من لؤم وجهل وضعف. وهل الثورة على اللؤم والجهل والضعف إلا محبة كبرى للإنسانية التي ترزح تحت أعبائها الثقيلة! وحتى حين يهتف بمرارة ساخطة"[1] قائلا: "إني أكرهكم يا بني أمي لأنكم تكرهون المجد والعظمة. أنا أحتقركم لأنكم تحتقرون نفوسكم"[2]، أليست كراهيته هذه حبًا مقدسًا مخلصًا؟"[3]، فقد كان وضع أمته المزري والمتدهور في ذلك الوقت سببًا في ثورته ولم يترك له مجالاً للسكوت.

لقد وعى جبران مشاكل عصره ونفذ بصره إلى صميم العلاقات القائمة بين الناس وشعر بوطأة الظلم والاستبداد تعاني منها الأكثرية المسحوقة تحت جبروت الشرائع الفاسدة والسلطات المستبدة دينية كانت أو سياسية، وعرف بشاعة التقاليد ودورها في تشويه الحياة وتوليد البؤس والشقاء فثار وتمرّد على التسلط والمتسلّطين وصب جام غضبه على الشرائع المتحجرة والتقاليد الشوهاء، الأمر الذي جعل مؤلفاته الأولى تطبع بطابع العنف والدعوة إلى العصيان والتمرّد. فهي من وحي البيئة الشرقية بصورة عامّة والبيئة اللبنانية بصورة خاصة.[4]

أخذ جبران جانبين هما: "الفلاّح والمرأة"، المرأة التي أخذت منها إنسانيتها من طرف العادات والتقاليد الاجتماعية، والفلاح الذي وضع تحت سيطرة الأمير ورجل الدين فعانى من الظّلم وعند محاولته كسر هذه القيود سيق إلى التعذيب، كل هذا دفع بجبران إلى التمرّد والثوران على التسلط والفساد والمدافعة على المظلومين والضعفاء، وكان يخاطبهم بلهجة قاسية وذلك لصالحهم يقول: "أما أنا فكنت أقول في قلبي: "لا بأس في ذلك فإنّي ســـأحبكم أكثر، نعم أكثر فأكثر، ولكني سوف أسدل على محبتي ستارًا من البغض، واستر عطفي شديد كرهي، وسأتبرقع ببرقع من حديد، ولا أسعى وراءهم إلاّ ملكًا مدرعًا"[5]، ويقول أيضا"كذا شهرتكم بشفتي ولكن قلبي، ودماء تنزف منه فكان يدعوكم بأرق الأسماء وأحلاها"، "أجل، أيها الأصحاب والجيران، فإن المحبة قد خاطبتكم مسوقة بسياط ذاتها، والكبرياء قد رقصت أمامكم متعثرة بغبار خيبتها مذبوحة بآلامها، وتعطشي لمحبتكم قد ثار ثائره على السطوح؛ " "ولكن محبتي كانت تسألكم صفحًا وهي راكعة صامتة"[6].

لقد كان جبران مناضلا صلبًا من أجل الحرية، لم يعرف ولم يشهد الفكر اللبناني من قبل مثل كفاح جبران وبراعته، وخياله الثائر بسبب استيعابه لما يعيشه وطنه وأهله صنع من متمردًا وفتى يافعًا منذ صغره.

---

[1]- طنسي زكا، بين نعيمة وجبران، ص.ن.

[2]- جبران خليل جبران، العواصف، ص 40.

[3]- طنسي زكا، المصدر السابق، ص 22

[4]- م.ن، ص 30.

[5]- جبران خليل جبران، آلهة الأراضي والسابق، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص 84.

[6]- م.ن، ص 85.

أ-التمرّد على الذات:

إنّ معرفة الذّات في رأي جبران هي أم كل المعارف، كان جبران متمردًا حتى على ذاته، فسعى لتصريح عيوبها ونقائصها ومناطق ضعفها ولم يغفل عن ذلك، كما فعل الكثير، فقد انكب يصحّح ويغير ليصل بها إلى الكمال وللوصول إلى هذا الكمال ومعرفة نفسه لابدّ من تنقيتها من جميع الشوائب، لاسترجاع جوهرها ولمثل هذا عمل على ذاته وواجهها للوصول إلى التوازن النفسي.

يقول في بعض المقاطع في قصة "البنفسجة الطموح": "ألا اسمعن أيتها الجاهلات المقتنعات، الخائفات من العواصف والإعصار، فقد كنتُ بالأمس مثلكن أجلس بين أوراقي الخضراء مكتفية بما قُسم لي، وقد كان الاكتفاء حاجزًا منيعًا يفصلني عن زوابع الحياة وأهوائها، ويجعل كياني محدودًا بما فيه من السلامة متناهيًا بما يساوره من الراحة والطمأنينة. ولقد كان بإمكاني أن أعيش نظيركنّ ملتصقة بالتراب حتى يغمرني الشتاء بثلوجه...، ولكني أصغيت في سكينة الليل فسمعت العالم الأعلى يقول لهذا العالم "إنما القصد من الوجود الطموح إلى ما وراء الوجود"، فتمردت نفسي على نفسي وهام وجداني بمقام يعلو عن وجداني وما زلت أتمرّد على ذاتي وأشوق إلى ما ليس لي حتى انقلب تمرّدي إلى قوة فعالة"[1].

لقد كان متطلعا دوما لكي يدرك ذاته الجديدة، وقد كانت روحه مهيأة لذلك وقد كان هناك صوت يدعوه لذلك وأكيد ستكون هذه الطريق محفوفة بالصعاب لأنّ إدراك الذات ليس بالأمر السّهل يكلّف المتاعب والألم.

في مقاله المعنون بـ "المراحل السبع" يقول جبران: "شجيت نفسي سبع مرات، المرّة الأولى لما حاولت الحصول على الرفعة عن الطريق الضّعة، والمرّة الثانية لما عرجت أمام المقعدين، والمرة الثالثة لما خيّرت بين الصّعب والهين فاخترت الهين، والمرة الرابعة لما أخطأت فتعزت بخطأ غيرها، والمرة الخامسة لما تجلّدت عن ضعف وعزّت جلدها إلى القوّة، والمرّة السادسة لما لمت أذيالها عن أوحال الحياة، والمرّة السابعة لما وقفت مرّتلة أمام الله وحسبت الترتيل فضيلة فيها"[2]، اعترف جبران في "المراحل السبع" بضعف ذاته ونقائصها بشهامة وثقة وشجاعة ولم يجد أي حرج في نطقها كما أنّه ذكرها واحدة تلو الأخرى بصدق في التعبير دلالة على مراقبته الدائمة لنفسه وسعيه لتغييرها، وكأنه وقف على هذه المحطات بالضبط من ذاته ليصل لها إلى الذات الفضلى الجديدة، ويبدو أنّ الرقم سبعة عنده يرمز إلى شيء ما هو "الكمال" ولأجل بلوغه وجب تجاوز هذه المراحل.

[1]- جبران خليل جبران، العواصف، ص 159.

[2]- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، ص 23.

إلى أنّ الإنسان يفتقد في حياته الأرضية اللقاء بذاته الحقة الموحّدة. فالخير والشر وكلّ المتناقضات الديالكتيكية التحرّك، تتولد من غربة الإنسان عن ذاته، فلا وجود للشر كعنصر خلقي أو مادي مستقل، له كينونته الخاصة، إنه صفة نطلقها على نقص ما يتعرض له وجودنا الخيّر، إنه افتقارنا لذاتنا الحقيقية نبحث عنها عبر الصّراع بين "الأنا" المثالية الإلهية المصدر و"الأنا" الأرضية التي هي ظل كاذب لكينونة لنا وضاءة[1]، يقول في مقاله الخير والشر: "إنني أستطيع أن أحدّثكم عن الخير، لا الشرّ الذي فيكم؛ لأنه أليس الشرُّ هو يعينه الخير المتألم آلامًا مبرحة من تعطشه ومجاعته؟...أنت صالح، يا صاح، إذا كنت واحدًا مع ذاتك، وإن لم تكُ واحدًا مع ذاتك، فأنت لست بالشرير..."[2].

إن كل المتناقضات كالخير والشر مثل ما ذكر جبران هي من عملنا نحن وعلينا بالتخطي من أجل اللّحاق بالأفق البعيد ألا وهو معرفة ذواتنا، كل تلك الصفات المذكورة في مقاله "المراحل السبع" تصوّر ضعف الذات وبعدها عن تحقيق الحقيقة فتميل نحو العجز عن التعبير عن الضعف وتلتمس لنفسها الأعذار، لكن جبران على غير البقيّة لم يخفي عن نفسه ولا عن غيره ضعف ذاته وإنما راح يبرز مواطن النقص مسارعًا لإصلاحها نحو التجديد.

نذهب أيضا إلى مقاله "وعظتني نفسي" يقول: "وعظتني نفسي فعلّمتني حبّ ما يمقته النّاس ومصافاة من يضاغنونه وأبانت لي أن الحبّ ليس بميزة في المحب بل المحبوب، وقيل أن تعظني نفسي كان الحبّ بي خيطًا دقيقًا مشدودًا بين وتدين متقاربين، أما الآن فقد تحوّل إلى هالة أولها آخرها وآخرها أولها، تحيط بكل كائن وتتوسع ببطء لتضم كل ما سيكون"[3]، يذكر هنا أيضا جبران النواقص في ذاته وما آلت إليه نفسه بعد التأمل والتفكير من تغيير جذري فاختلفت نظرته بين ما كان عليه ماضيه وما هو عليه حاضره الآن، وعلى غير العادة فإن نفسه هذه المرة تلعب دور المعلم والواعظ.

إذن انتقل جبران في مقال "المراحل السبع" من نقد الذات إلى مقال "وعظتني نفسي" في تقييم هذه الذات ومنجزاتها، من خلال التمرد على كل ما هو مألوف وسائد لم يجعل في صلاح ولا فساد أعمال الناس سببًا في صلاح ولا فساد الذات. هو فقط جعل من نفسه مثالا لأعمالهم عندما كان يشبههم أي كان يتحدث عن ذاته مع قصد ذات الآخرين ولكنه من خلال حديثه يظهر أنه يتكلم فقط على نفسه.

[1]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 198.

[2]- جبران خليل جبران، النبي، تر: أنطنيوس بشير، مؤسسة هنداوي، ص 63.

[3]- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، ص 25.

لكننا نلمس في مقطع آخر حضور الآخر يقول: "وعظتني نفسي يا أخـــي وعلّمتني، ولقد وعظتـــك نفسك وعلّمتـــك، فأنت وأنا متشابهان، متضارعان، وما الفرق بيننا سوى أنني أتكلّم عمّا بي وفي كلامي شيء من اللجاجة، وأنت تكتم ما بك وفي تكتمك شكل من الفضيلة".[1]

وكأنّ جبران هنا يقول مخاطبًا الآخر إنّ في نفسي عيوبًا وتعلّمه منها وقوّمتها وسعيت لتصحيحها وما في هذه النفس هو موجود حتى في نفسك وما أطلب منك هو تقويم هذه النفس، يعني أنّ جبران عاش وتعلّم وهو الآن يعلم خلاصة الكلام أنّ وراء تمرّد جبران على ذاته وشجاعته في الاعتراف بنقصها هو محاولة للوصول إلى بناء ذات قوية.

ب–التمرد على السلطة العامة:

إنّ ثورة جبران ليست سوى اصطدام بالنقائص التي يعاني منها المجتمع وليست سوى محاولة لهزيمة هذه النقائص وتغييرها نحو الأحسن نحو التقدم والتطورات لتحقيق الانسجام الاجتماعي.

رغبة التغيير عنده هي دافعة للتمرّد والثورة لأنه لا يقبل العيش في الحياة المليئة بالعلل فسعى للبحث دومًا عمّا يكمّلها.

نأخذ مقطع من قصة "خليل الكافر" : "إن الشعوب الجاهلة تقبض على أشرف أبنائها وتسامهم إلى قساوة العتاة والظالمين، والبلاد المغمورة بالذل والهوان تضطهد محبيها ومخلصيها، ولكن أبترك الابن الصالح والدته إذا كانت مريضة، وينكر الأخ الرؤوف أخاه إذا كان تعسًا، إن هؤلاء المساكين الذين أسلموني إليك مكتوفا اليوم هم الذين أسلموك رقابهم بالأمس، والذين أوقفوني مهانا أمامك هم الذين يزرعون حبات قلوبهم في حقولك ويهرقون دماء أجسادهم على أقدامك وهذه الأرض التي تأبى أن أكون من سكانها هي الأرض التي لا تفغر خاها وتبتلع الطغاة والطامعين"[2]، قصة ذلك الشاب الذي كان يرعى أبقار الدير لكن الكهان قاموا بطرده، لكنه وقف ضد الحكام وراح يدافع عن الشعب البائس يقول: "أيها الإخوة، إنّ الرجل الذي أقامه خضوعكم واستسلامكم سيدًا على حقولكم قد أحضرني مكتوفا ليحاكمني أمامكم في هذا العصر المبني أمام بقايا أبائكم وجدودكم، والرجل الذي جعله أيمانكم كاهنًا على كنيستكم قد جاءني ليدينني، ويساعد على تعذيبي وإذلالي"[3]، فقد أتى به الكهان لمحاكمته عندما واجههم بما يمارسون على الناس الأبرياء واستغلال خيرات الفلاحين، ولكنه وفي محاكمته أبدى شجاعة وقوة كبيرين في الدفاع عن نفسه وعنهم وتجنح في ذلك وانتصر الخير على الشر.

---

[1]– جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، ص 27.

[2]– جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، دار العرب للبستاني، القاهرة، ص 127.

[3]– م.ن، ص 130.

وهنا تتمثل لنا شخصية جبران خليل بأفكاره المتمردة على الظلم والرافضة للاستعباد، وهو بصدد عرض أفكاره كي يحرّك إحساسهم من أجل النهوض والثورة على الأوضاع السائدة لتغييرها، فخليل إذن يمثل صوت جبران المتمرّد فخليل نبههم لوضعهم المزري مبينًا تفاصيل عيشهم.

4-اللاّمعنى:

لقد كان جبران دائم التعرّض للمرض خصوصًا مرض "الوافدة" وكان جسمه نحيفًا دومًا، كان يعاني من اضطرابات في القلب والمعدّة وتسوس الأضراس إلى أنّ الأطباء لم يتمكنّوا من تشخيص وإيجاد حل لكل هذا الضعف في جسده، كان يقول: "أنا أكره الطّب ولا أومن بالأطباء"[1]، لقد كان يتألم لأنه عاجز عن إكمال عمله وكان يضعف يومًا بعد يوم، كان خائف أن يصيبه "السلُّ" الذي أصاب عائلته فكتم هذا السّر الذي كان يقتله من الدّاخل، كان لديه خوفٌ من التصاق الجراثيم بيده عند مصافحته للنّاس كان يسرع لغسل يديه، ولعلّ إفراطه الجنسي كان السبب في مرضه فقد كان الأطباء يربطون هذا المرض به، ولعلّه سبب في جعل جبران يكتم ألمه ومرضه، بالإضافة إلى ما كان يعرف به من كتم لأسراره الشخصية، إضافة إلى قصر قامته ما جعلته يحسّ بالدونية.

وكما عثرنا في أدبه وفي فنّه، على اسقاطات كثيرة لشعوره بالدونيّة الجسّدية، فكتب الكثير عن الأقوياء الجبابرة متمنيا تحطيمهم، ورسم الأجساد بملء عافيتها وقوّتها، كذلك نعثر في كتاباته على عدد من الإسقاطات لمعاناته من الضنك الجسدي[2]، يقول في مقال "رحماك يا نفس رحماك": "أنت يا نفس تفرحين بالآخرة، وهذا الجسد يشقى بالحياة وهو في الحياة، أنت تسيرين فقط في نحو الأبدية مسرعة وهذا الجسد يخطو نحو القفاء ببطء، فلا أنت تتمهلين ولا هو يُسرع، وهذا يا نفس منتهى التعاسة"[3] عن الصراع القائم بين رغبات نفسه وأمانيها وما تريد الوصول إليه ولكن ضعف جسده يأبى ويقف" عارضًا على تحقيقها يقول أيضا: "انظري يا نفسي فقد أنفقت عمري مصفيًا لتعاليمك، تأملي يا معذبتي فقد أتلفت جسمي متبعًا خطواتك".[4]

نجد جبران يشعر بالدونية لما أوصلته به نفسه وكمية المعاناة والاحساس بالألم الداخلي، ولأن ما عانته من اضطرابات نفسية وكتم أنذاك جعل منه إنسانا ضعيف البنية.

---

[1]- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، مؤسسة نوفل، بيروت، 1981، ص 188.

[2]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 88.

[3]- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة (رحماك يا نفس رحماك)، ص 38.

[4]-م.ن، ص 37.

لقد كانت فكرة الموت تراوده دائما ونجده في كثير من كتاباته في المجنون في مقال المصلوب يقول: "أودُّ أن تصلبوني"..."فقبلوا قولي وصلبوني، فهدّأ الصّلبُ ثورة نفسي"[1]، وقد أفرحه ذلك بعد أن لبّوْا طلب هذا كان يريد منهم خلاصًا من الحياة يقول: "ولكنني قد عطشت فسألتكم دمي شرابًا، وهل من شراب يبرد غلة المجنون سوى دمه؟"[2]، رغبته في الموت لم تكن بلا سبب لكنه لم يعد يرى الوجود نفعًا سوى أنه أرهق مما فعلت به الحياة ومن كثرة تلك الاضطرابات التي رافقته منذ صغره وآلت به إلى الآلام والضعف.

في مقال "رجوع الحبيب" فكرة الاستشهاد تمثّل البطولة مثلا في هذا المقطع "سار موكب النّصر وراء موكب الموت، وقد مشى أمامهم طيف الحبّ ساحبًا أجنحته المكسورة"[3] نجد هذه الفكرة تدور في أقصوصات مثل خليل الكافر يعني أن أبطال قصصه يستشهدون دومًا، وفي كتابه المجنون في مقال "حفّار القبور" أخبره الحفّار بفرحهم به لأنه على غرار البقيّة يدخل القبر ضاحكا ويخرج منه ضاحكًا أيضا: "إنّ ساوك يأتي بالحيّاد ويعود باكيًا...أما أنت فإنك تجيء ضاحكًا وترجع ضاحكا"[4]، وفي كتابه دمعة وابتسامة في مقال "جمال الموت" يقول: "أشعلوا الشموع وأوقدوا المباخر حول مضجعي، وانثروا أوراق الورد والنّرجس على جسدي، وعفروا بالمسك المسحوق شعري، وأهرقوا الطيوب على قدمي، ثم انظروا واقرأوا ما تخطّه الموت على جبهتي"[5]، نجد جبران هنا ينشد بجمال الموت لكونه ملاذ الإنسان ويحرره وينجيه من الحياة، وفي كتابه العواصف في مقالة "قبل الانتحار" يقول: "الحياة امرأة عاهرة ولكنّها جميلة ومن ير عهرها يكره جمالها"[6]، نجده في مقاله هذا يعلن حبّه لامرأة والتي هي الحياة ويذكر سيئاتها لينتهي بما ذكرناه.

وفي مقاله "الحروف الناريّة" يقول: لا لعمري فحقيقة الحياة حياة، حياة لم يكن ابتداؤها في الرحم ولن يكون منتهاها في اللّحد، وما هذه السنوات إلاّ لحظة من حياة أزلية أبدّية، هذا العمر الدنيوي مع كان ما فيه هو حلم بجانب اليقظة التي ندعوها الموت المخيف، حلم ولكن ما رأيناه ورفعناه فيه يبقى ببقاء الله"[7]، نجده في كل مقاله يتساءل عن أحوال البشر وهل سيختفون وتختفي معهم أحلام وأسرارهم وأحزانهم وأفراحهم.

---

[1]- جبران خليل جبران، المجنون "حفار القبور"، ص 48.

[2]- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة "جمال الموت"، ص 123.

[3]- جبران خليل جبران، العواصف "قبل الانتحار"، ص 36.

[4]- جبران خليل جبران، المجنون "المصلوب"، تر: أنطنيوس بشير، دار العرب للبستاني، القاهرة، ص 70.

[5]- م.ن، ص 71.

[6]- جبران خليل جبران "دمعة وابتسامة"، "رجوع الحبيب"، ص 122.

[7]- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة "الحروف النارية"، ص 27.

ما نصل إليه إذن أنّ الموت فكرة تراود الإنسان لا محالة وطبيعية لدى البشر لكن هذه الفكرة راودت جبران منذ شبابه ووفاة عائلته وخصوصًا منذ مرضه وضعف جسده وتعرضّه الدائم لهذه الأعراض وخاصة بالمرض الذي طالما أبى أن يفشي لأحد سره به، هذا ما جعل فكرة الموت ترادفه دومًا والتي وجدناها في معظم كتاباته راغبًا في موت تلك الذات الهشّة القديمة وبناء ذات عظمى جديدة.

5-اللاّمعيارية:

سنّ البشر مجموعة من التقاليد والعادات وتوارثت جيلاً بعد جيل فإنّ جبران حمل عليها عامّة، غير مستثن أيّ شكلا من أشكالها، ما كان خطأ أصبح صوابًا والعكس تحت منطلق تطبيق السلطة الاجتماعية على مصلحة الفرد.

يقول في كتابه العواطف في مقال "العبوديّة": "إنما الناس عبيد الحياة وهي العبودية التي تجعل أيامكم مكتنفة بالذل والهوان ولياليهم مغمورة بالدماء والدموع...لقد جبت مشارق الأرض ومغاربها وطفت في ظل الحياة ونورها، وشاهدت مواكب الأمم والشعوب سائرة من الكهوف إلى الصروح، ولكنني لم أر للآن غير رقاب منحنية تحت الأثقال، وسواعد بالسلاسل، وركب جاثية أمام الأصنام"[1]، لم يرضى جبران هاته الحال ووقف ضمها يقول أيضا: "دخلت القصور والمعاهد والهياكل، ووقفت حذاء العروش والمذابح والمنابر، فرأيت العامل عبدًا للتاجر والتاجر عبدًا للجندي، والجندي عبدًا للحكام والحاكم عبدًا للمالك، والملك عبدًا للكاهن، والكاهن عبدًا للصّنم والصّنم تراب جبلته الشياطين ونصبته فوق رابية من جماجم الأموات"[2]، أصحبت العبودية تشكّل قانونًا وغدت مقبولة اتجاه أيّة أهداف محدّدة يعني أنّ الأشياء لم يعد لها ضوابط وكيف لجبران أن يستسلم لكل ما يراه دون ثورة على هذه السلطة التي تستهدف المستضعفين يقول: "دخلت منازل الأغنياء الأقوياء وأكواخ الفقراء والضعفاء، ووقفت في المخادع الموشاة بقطع العاج وصفائح الذّهب، وفي المآون المفعمة بأشباح اليأس وأنفاس المنايا فرأيت الأطفال يرضعون العبودية مع اللّبن، والصبيان يتلقون الخضوع مع حروف الهجاء، والصبايا يرتدين الملابس مبطنة بالانقياد والخنوع، والنساء يهجعن على أسرة الطاعة والامتثال"[3]، سلطة الشرائع فالتقاليد الاجتماعية سلبت من الناس حرّياتهم وسلبت منهم الحياة بأكملها، جبران يرفضها في أيّ شكلٍ تمثّلت، ومهما تكن آراء غيره فيها يبقى واقفا تجاهها موقف التمرّد والتوازن.

[1]- جبران خليل جبران، العواصف (العبودية)، ص 12.

[2]- م.ن، ص.ن.

[3]- م.ن، ص 13.

والمظهر الثاني هو الوالد، ولابدّ وأنّ له سلطة أقرّها البشر في مجتمعاتهم ووصـــل بهم الأمـــر إلى تقديسهم، لكنّ جبران ناصبهم عداءً شاملاً، فنحن أدبه تراه يجعل والد "يوحنّا المجنون" فظًا مغفلاً يخافه ابنه فكان يقرأ الأناجيد سرا بحذر من والده النائم الذي كان يمنعه من قراءة ذلك الكتاب، وفي حفّار القبور يجعل معاداة سلطة الآباء شرطًا من شروط التقدم في الحياة يقول: "إنّ بليّة الأبناء في هبات الآباء ومن لا يحرم نفسه من عطايا آبائه وأجداده يظلُّ عبد الأموات حتى يصير من الأموات"[1]، وهي مقال العبودية يقول: "بل هي علّة أزليّة أبديّة تجيء بأعراض متباينة وقروح مختلفة يتوارثها الأبناء عن الآباء مثلها يتوارثون نسمة الحياة وتلقى بذورها العصر في تربة العصور مثلما تستغل الفصول ما تزرعه الفصول"[2]، أصبحت العبودية علّة متوازنة عبر الأجيال في أي جبران يكمل فيقول: "وأغرب ما لقيت من أنواع العبوديات وأشكالها: العبودية العمياء، وهي التي توثق حاضر النّاس بماضي آبائهم وتنيح نفوسهم أمام تقاليد حدودهم وتجعلهم أجسادًا جديدة لأرواح عتيقة وقيودًا مكلسة لعظام بالية"[3] هو يشبه الخضوع للسلطة الأبوية مثل تحنيط نفوس الأجيال القادمة ما جعل جبران يعالج دومًا هذه القضايا وينسج دومًا على قماشه معداة السلطة.

والمظهر الثالث هو "رجال الدين": وسلطاتهم في الشرق يكاد يكون مستعرقا استعراق التاريخ، وليس حدثا ألوفًا أن يعصاهم امرأ خاصة في أوساط المسيحية، لكنّ القرن التاسع عشر، ولا سيما نصفه الثاني، شهد بداية تركات فكرية ثورية فنادى بضرورة إعادة النظر في العقائد الدينية[4]. وجبران قد استفاد من هذا الجوّ ليشن هجومه على الكهنة فقد شن حملاته العدائية عليهم بنسبة سيطرتهم على رعاياهم في جبل لبنان، نجدها في مجموعة من مؤلفاته: العواصف، دمعة وابتسامة، عرائس المروج، الأرواح المتمرّد، والأجنحة المنكسرة والمواكب، فقد تمثلت ذروة العدائية عنده في قصة خليل الكافر يقول: "أتعرفون أيها المستلمون الضعفاء من هو الكاهن الذي تهابون وتقيمونه وصيًا على أقدس أسرار نفوسكم؟ اسمعوني فأبين لكم ما تشعرون أنتم به وتخافون إظهاره...هو خائن يعطيه المسيحيون كتابًا مقدسًا فيجعله شبكة يصطاد بها أموالهم، ومُراء يقلده.... وظالم يسلّمه الضعفاء ...هو ذئب كاسر يدخل الحظيرة فيظنه الراعي خروفا...هو نهيم يحترم موائد الطعام أكثر من مذابح الهيكل...ويمتص دماء العباد مثلما تمتص رمال الصحراء ونجيل يحرص على أنفاسه ويدّخر ما لا يحتاج إليه، هو محتال يدخل من

[1]- جبران خليل جبران، العواصف (حفار القبور)، ص 6.

[2]- م.ن، (العبودية)، ص 13.

[3]- م.ن، ص 14.

[4]- غازي فؤادي براكس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، ص 44.

شقوق الجدران... ولصٌّ صخري القلب ينتزع الدرهم من الأرملة والفلس من اليتيم"[1]، نجد جبران هنا يفرغ غضبه ولم يترك صفة قبيحة إلاّ وألصقها بالكهنة، ويطلق سهام نحوهم ويثور كالبركان عليهم ملئ صدره المتمرّد على هذه الأشكال ويجرحهم بكلمات كالسيف البتار.

هذه النماذج من المظاهر التي أنتجها جبران لعدائيه هذه مجموعة التقاليد والعادات المتوازنة الظالمة بمختلف أشكالها، وما نصل إليه أنّ سبب ثورة جبران ضد ما كان يراه لم يكن لأجل مصلحة نفسية وإنما لحالة مزرية في مجتمعه ومحاولة تصحيح و تقويم لقوانين كان ولابد أن تبتر، لأنه كان على غير تسابقيه كان يؤلمه رؤية مجتمعه على غير المجتمعات الأخرى.

رابعا: البحث عن الذات

جبران وهو يقوم بثورة على كل ذات ضعيفة لم ينسى ذاته فقد عمل على إبراز جوانب الضعف فيها والقصور ليتجاوزها إلى ذات أخرى جديدة بعيدة عن النقائص تمنح له الكمال والتوازن الشخصي والسعادة، وقد بدأت هذه الملامح تظهر فيه منذ طفولته "كذلك تمخضّت حركة إثبات الذات عن نزعة استقلالية عنيفة اكتشفتها أمّه فيه منذ طفولته، إذ عرفت أنّ حبّه الحرّية المطلقة يجري في عروقه مجرى دمائه، ولذا كانت قلّما تزجره"[2]، وقد برزت هذه النزعة في كل سلوكاته فقد سافر من لبنان إلى أمريكا وحيدًا، وقد كانت استقلاليته في تدبير شؤونه تريحه وقد واجه معلّمه الخوري: يوسف الحدّاد (1865-1949) في قوله له: "أنا المسؤول عن نفسي لا أمّي ولا أبي، وإن لم أنل مطلوبي فتشت عن غير هذه المدرسة التي تتعلق بحرفية القانون ولا تفهم تلاميذها"[3] ومع ذلك نجح في تسجيل اسمه في الصف الذي أراد هو فسبب رخصته لقص شعره كاد يترك المدرسة، لو لم تترك الإدارة طلبها هذا، وبهذا نجح في إثبات ذاته بين المعلّمين والزملاء فقد كان بحسب كلام معلميه شديد التعلق برأيه.

إنّ هدف الحياة كما لها، ولذا كان أقوى محرّك في الكائن الحي هو الاكتمال نسميها "سيكولوجيا تحقق الذات" وتعني "التعبير المتوافق المنسجم عن القوى الحيوية جميعها تعبيرًا يتجه إلى غاية عليا مشتركة، وتمام ذلك لا يكون إلاّ في الذّات المنتظمة أي المتكاملة المتماسكة المتزنة التي تألف فيها العواصف والنوازع المستساغة جميعها نحو مثل أعلى صادق"[4]، وبتحقيق "الذات" يتحقق شعور "السعادة" و"السلام النفسي"، فقد كان

---

[1]- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة (الأرواح المتمردة)، دار صادر، بيروت، الجزء الأول، ص 191، 192.

[2]- غازي فؤاد براكس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، ص 76.

[3]- م.ن، ص 76.

[4]- م.ن، ص 322.

جبران يشعر بعدم الاكتفاء والشقاء في عهد الاضطراب وهو وإن كان غير مدرك لأسباب علّته فإنه وقد أدرك باكرًا أنّ "السعادة تبتدأ في قدس أقداس النفس ولا تأتي من الخارج، وليس في بيتها مال ولا قوة ولا سلطة، لكن جمال ومحبّة وحكمة"[1]، أقرّ أنه أحبّ السعادة مثل جميع البشر وسعى إليها مثلهم لكنّه لم يهتد إليها في طريقهم ولم يلمحها في قصورهم ولا معابدهم "السعادة صبيّة تولدوا تحيا في أعماق القلب ولن تجيء إليه من محيطه"[2]، وحتى وأنه لم يبلغ جوهر وحقيقة الاتزان النفسي إلاّ أنه فهم قوام هذه السعادة.

إذا صحّ اعتقاد أدلير أنّ نفسية الإنسان ميتة أساسا على عقدتين: استحالة التحرّر من مشاعر التدنّي، واستحالة العيش بسلام مع المجتمع[3]، و لهاتين العقدتين أثر قوي في شخصية جبران، فقد حاول بناء شخصية جديدة ورفض الهوية الموروثة التي تعطيه مرتبة و دورا اجتماعيا معينا فقد أفصح مرارا عن هذا الهم لديه، عبر أحاديثه أو عبر ما كان يحيكه خياله من أنسجة أدبية وفنية، كأن يتحدث مثلا عن الحرب فيه بين ذاته القديمة "المهزومة أبدا" وذاته الفضلى، ويرفض العودة إلى لبنان خشية الارتداد إلى "هويّة "يرفضها، مبررا ذلك بقول "إنه يؤثر على البقاء في المهجر كي يبقى غريبا بين الغرباء على أن يعود ويصير غريبا بين الأثرياء "[4]، و قد يكون لقصر قامته رغبة في بناء ذات جديدة أيضا. فقد كان حلمه أن يكون طويلا فيفيق مندهشا:"آه، فإذا انا صغير جدًا في فراشي"[5] ويتأثر عندما تقول له ماري هاسكل "إنّ قصر قامته يبعد عنه بعض النساء، وكم يحاول تبرير هزاله الجسدي بحادث كسر كتفه وهو صغير"[6] فقد كان يشعر بالدونية حيال أمره.

إن إكبابه المضني، منذ طفولته على مزاولة الرسم وعلى نظم القصائد الزجلية، هو تصريف على الخط واللون والكلمة، لأزمة (تجاوز الذّات) هذه كأنه كان يعثر في اللوحة وفي الكتابة على "توازنه الشخصي" المفقود، بهذا المعنى قال ليوسن الحويك: "ثق أنّ النشوة الحقيقية لا تهزني إلاّ عندما أرسم أو أكتب"، وهو ما أدركته م. هاسكل فقالت: "لا يشعر بالسكينة والسلام إلا وهو يعمل... لا يحيا إلا عندما يعمل"، لذلك هو لا يعرف الراحة، "إنه دوما في حالة غريبة يحفر الخلد"، ساعيًا لأن يقول أمورًا جديدة بطرق جديدة، حتى يصل به الأمر أحيانًا إلى البكاء الذي لا يستطيع ألا يتحاشاه، وقد أفضح عن ذلك قوله يوسف الحويك: "أريد أن أكون حرا بنوعي الخاص"، وفي قوله لماري هاسكل: "إنّ لدى شيئا أقوله للعالم، شيئا مختلفا عن أي شيء آخر"، موجهًا

[1]- دمعة وابتسامة، المجموعة الكاملة لجبران، ج2، ص 169.

[2]- م.ن، ص195.

[3]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 76.

[4]- م.ن، ص 77.

[5]- م.ن، ص.ن.

[6]- م.ن، ص.ن.

حركة البحث عن ذاته في مجرى النزوع إلى كماله الذاتي perfectionniste بتوق دؤوب بلغ عنده حدّ "الفكرة الثابتة" Idée fixe ، وقد تجلى شغفه بهذا التكامل في انشغاله بالبحث عن نقائصه الشخصية: "قل لي بربك يا يوسف، هل تلاحظ فيّ شيئا يمكنني إصلاحه"، وفي طموحه لأن يصور حكمًا على الحياة: "جئت لأقول كلمة وسأقولها وإذا أرجفني الموت قبل أن ألفظها يقولها الغد...."، ثم في تطلعه الدائم للزمن الآتي" عندما يحقق ذاته في مجده.[1]

وبهذا فقد كان التعبير عن ذات مثلي أمر صعبًا لدى جبران لكنّه ظلّ يستمرّ في ذلك البحث يقول لماري هاسكل: "إنّي أكدّ في العمل، وفي عملي يجدوني شوق طفل ضائع إلى أمّه، وإني أصبحت أعتقد أنّ رغبة للإنسان في الكشف عن ذاته هي أقوى من جميع المجاعات وأعمق من أي عطش"[2]، هكذا فقد تحملا من الألم والمشقة والصراع الشديد من أجر بناء هذه الذات.

إنّ الألم هو من يولد الإبداع والتحرك والألم عند جبران هو "انشقاق الفكرة التي تغلف إدراكنا"[3]، " الألم يفجر الإدراك، فيقود الإنسان إلى الفهم، الفهم يولد فيه مخاض التحرك نحو التجدد والإبداع، الإبداع يؤدي إلى زوال الواقع الناقص وظهور الحياة المثالية. والحياة المثالية هذه لا تتحقق إلا إذا تحولت إلى هاجس يهز النفس في كل حين، هاجس التساؤل عن الحياة: ما عييت إلا أمام من سألني من أنت"[4]، هاجس الرغبة المؤلمة في المعرفة: "نفسي مثقلة بأثمارها، فهل من جائع يجني ويأكل ويشبع؟ أليس بين الناس من صائم رؤوف يفطر على نتاجي ويريحني من أعباء خصبي وغزارتي؟ نفسي رازحة تحت عبء من تبر واللحين، فهل بين الناس من يملأ جيوبه ويخفف عني حملي؟"[5]، هاجس ممارسة التأمل الفلسفي بعدًا عن اليأس والمغالاة في التفاؤل السطحي: "...الناس في شرعي ثلاثة: واحد يلعن الحياة، وواحد يباركها، وواحد يتأمل بها، فقد أحببت الأوّل لتعاسته، والثاني لسماحته، والثالث لمداركه، وأخيرا هاجس البحث عن الحقيقة التي تخلصنا من كل ألم وهاجس، فينتهي صراعنا مع أنفسنا لنستقر في فرحنا الكبير المرتجي"[6]، وهذا ما يكلفه الألم من ثمن باهض لأجل التحرّر.

إنّ رحلة البحث عن الذات تتطلب "الفطرة"، ما يعني ذاته الصافية التي ولد بها لماذا هي بالذات؟

---

[1]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 78.

[2]- غازي فؤاد بركس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، ص 81.

[3]- جبران خليل جبران، البنى، ص 62.

[4]- رمل وزبد، من المجموعة المعربة لجبران خليل جبران، ص 152.

[5]- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف من المجموعة العربية لجبران خليل جبران، ص 499.

[6]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 201.

لأنّ الذات التي يولد بها الإنسان لم تعتريها الظروف الخارجية ولم تتعرض للتلوث من أمور الحياة ولا للمجتمع الفاسد، "إنّ طينة الإنسان الفطرية تتضمن البذور الأولية للكمال المنتظر، وما على هذا الإنسان إلا الاجتهاد لإيقاظ كمالاته الفطرية بالاستنباش الباطن، ولا بالكسب مع العلم الخارجي"[1]يعني أنّ السعي لاكتساب الذات العظمى يبدأ من عودة الإنسان إلى فطرته حسب رأي جبران هذا هو طريق الوصول إليها.

يقول في كتابه "النبي" في مقام "معرفة النّفس" "إنّ قلوبكم تعرف في السكينة أسرار الأيام واللّيالي، ولكنّ آذانكم تتشوّق لسماع صوت هذه المعرفة الهابطة على قلوبكم، غير أنكم تودّون لو تعرفون بالألفاظ والعبارات ما تعرفونه بالأفكار والتأملات وتتوقون إلى أن تلمسوا بأصابعكم جسد أحلامكم العاري"[2]، ويقول في مقال "إرم ذات العماد": "إنّ الله وضع في كل نفس رسولاً ليسيرينا إلى النّور، ولكن في الناس من يبحث عن الحياة في خارجه والحياة في داخله ولكنه لا يعلم"[3].

يقصد هنا جبران أن الرسول هي الفطرة فهي من تهدي بالإنسان إلى النور، وفي داخل كلّ منّا هذا الجوهر منذ بداية الوجود ويعني الإنسان أغمض عينيه ونظر في أعماقه سيرى العالم بكل جزئياته، وبذلك يكون مخيرا بين ما يلزم هذه الذات وما يضرها، بمفهوم آخر إغلاق البصر وفتح البصيرة هو بداية ونهاية الوجود.

إنّ إصرار جبران على فعاليّة استعادة الحالة الفطرية لا يعني إذن الرّكض الجنوني الهائج وراء غايات غير محدّدة، بل الركض الواعي الذي يوازن بين إدراك العقل واندفاع الهوى، فيصير الوعي ضوءًا كاشفا للهوى طريقه، كما يكون الهوى محركا وموجها للعقل، فلا يعود العقل مقيدا بحيثيات الواقع الرتيب أو أسيرا للحاضر، كما لا يعود الهوى جارحفًا للحياة نحو اللاّمعنى.[4]

يعني أنّ العقل إذا تحكم وحده في النفس كان لها رباطًا، والهوى ما لم يكن له وازع التهم نفسه بنفسه كما تفعل النار تمامًا، يقصد جبران أنّ حتى في اتباعنا لفطرتنا يجب أن يكون بوعي وعقلانية، لكي لا تختلط بالمفاسد والأمور الغير عقلانية والتي تشوّه هذه الفطرة.

هل تمكن جبران من تحقيق الوصول إلى الذات المثالية الكاملة؟

لقد واجه جبران طيلة حياته ومنذ صغره الكثير من الاضطرابات النفسية وقد وصل إلى الطمأنينة الروحيّة والسلام النفسي وذلك ما نتلمسه في مؤلفاته المتأخرة ما نلمسه فيما توصل إليه الدكتور غازي فؤاد في دراسته

---

[1]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 194.

[2]- جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران المعربة عن الإنجليزية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1414هـ-1994م، ص 118، 119.

[3]- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف (إرم ذات العماد)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر، ص 81.

[4]- غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص 195.

لجبران في قوله: "وقد نتج عن اختلاف الاتزان النفسي في المرحلتين الأوليين أعراض إضطرابية ظهرت في حياته وإنتاجه، فالقلق والحيرة والاحساس بالشقاء والتوتر النفسي برزت في اعترافاته وانتاجه معًا، عبر أنّ مثل جبران ما فتئ يوجّهه، مهيبا به إلى الاتزام، حتى انتصر أخيرا، بعد أن عزّزت قواه عدّة عوامل ظرفية مؤاتية، فإذا بملكوت السلام يقوم في ذاته، وينعكس عبر أدبه في ثلاثة رموز كبرى هي "الغاب" في "المواكب" التي كانت الجسر الذي عبر عليه من عهد إلى آخر، "وإرم ذات العماد"، و"أورفليس" وكلٌّ منها يمثل الواقع النفسي الذي تمحي فيه المتناقضات ويسود الانسجام والأمان، قد تميّز العهد الأخير بخاصّيتين مهمّتين هما تحقّق وحدة الشخصية وسلامها بعد معاناتها التنازع والانقسام، واكتفاء المراتب النفسية الثلاث بحيث عرف كلّ منها حقّه فاحتل منصبه الصحيح ولزم حدّه فما ظلم ولا ظُلم، وكان لهذه الخاصيتين معالم بارزة في أدبه ورسمه على السواء.[1]

بداخل كلّ إنسان حياة يعيشها بمفرده ومهما سعت الذات الإنسانية في كسر تلك القيود تبقى الرحلة متواصلة لمعرفة خفاياها، أما إذا حصل وأدرك الإنسان ذاته فقد مات وانتهى يقول جبران:

"إِنّ الإِنسَان مَتَى جَلسَ عَلَى عَرشِ المُلكِ فَقَد صَارَ عَبدًا.

وَمَتَى أَدْرَك أَعْمَاق رُوحِه فَقَد طَوَى كِتَاب حَيَاتِه

وَمَتَى بَلَغ أَوْج كَمَالِه فَقَد قَضَى نَحْبَهُ

بَلْ هُو كَالثَمْرَة إِذَا نَضُجَت سَقَطَت وَانْدَثَرَت.[2]

ما يعني ذلك أنّ حرية الذّات ليست محدّدة، فكلما ارتقت النفس ارتقت ذاتها، أي هي تتسع وتتكامل بتكامل الارتقاء النفسي.

[1]- غازي فؤاد براكس، جبران خليل جبران في دراسة تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه وشخصيته، ص 349.

[2]- جبران خليل جبران، المجنون، ص 57.

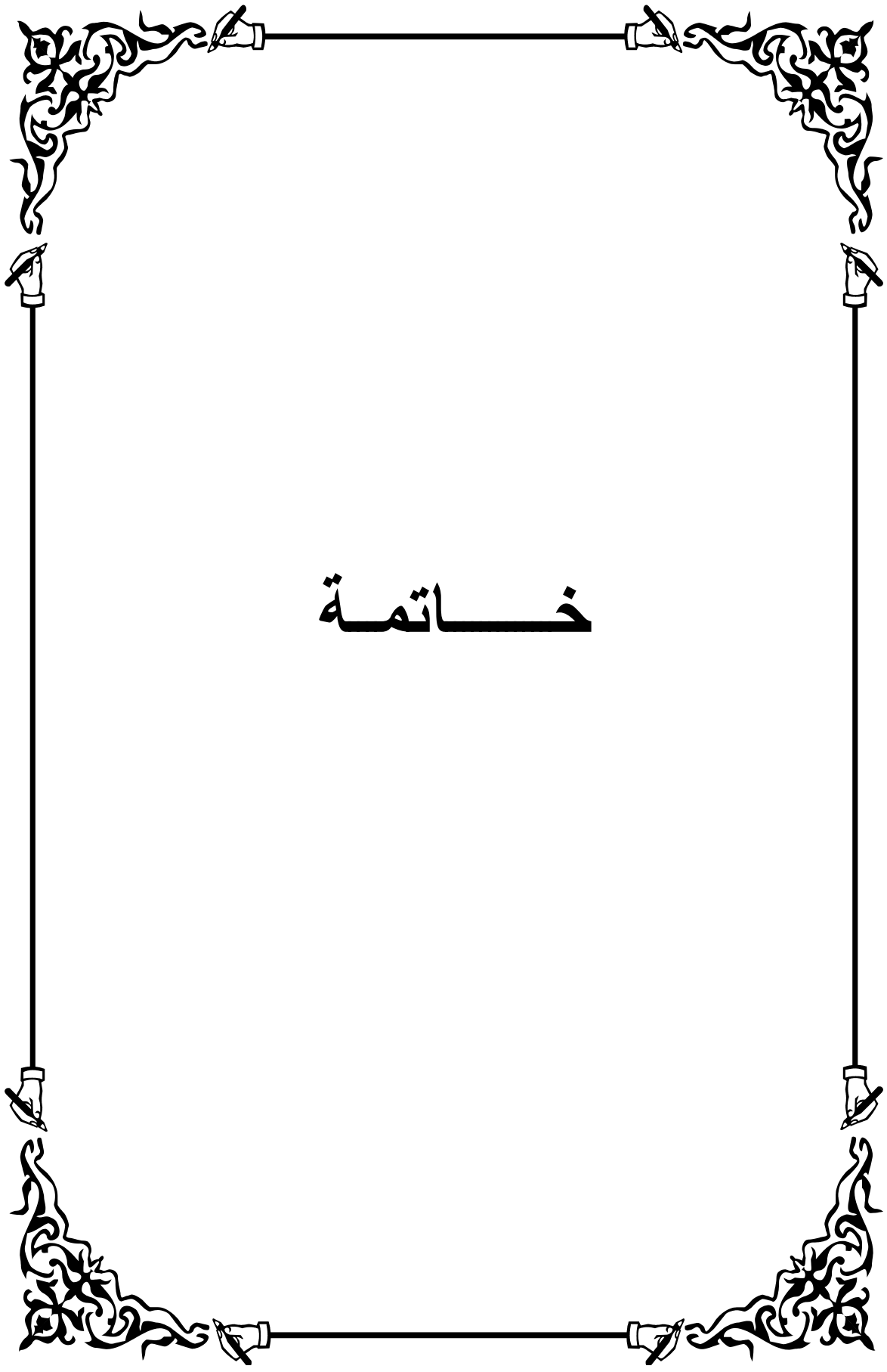

خـــــاتمـة

خـاتمة:

الحمد لله الذي يسّر وأعان، فسهل الصعب وهان، نحمده حمدًا يليق بجلاله ومقامه الصلاة والسلام على خير مبعوث رحمة للعالمين سيد الكونين والثقلين وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبعه إليهم بإحسان إلى يوم الدين.

قد تكون نهاية بحثنا هي بداية لبحث آخر فالنهاية هي بداية أخرى في مجال البحث العلمي نلخص في نهاية دراستنا جملة من النقاط أهمها:

- يعد موضوع الغربة من أهم المواضيع التي لقيت حظًا من قبل المفكرين والأدباء، فهو من المواضيع القديمة قدم الإنسان.
- اختلفت وتعدّدت تعريفاته عند العرب والمفكرين.
- كل من الغربة والاغتراب يلتقيان في المعنى اللغوي بينما المعنى الاصطلاحي تبقى الغربة تحمل معنى يلمس المكان على عكس الاغتراب الذي يرتبط بالذات والنفس.
- لقد شكّلت الذات محورًا كبيرًا من إنتاج جبران، ولم يتناولها من زاوية واحدة بل سلك كل السبل للتعبير عمّا يتعلق بها منتقدا ضعفها وعيوبها وسعى للبحث عن كمالها.
- لقد تميّزت كتابات جبران وهذا لتميّز شخصيته وأفكاره ورؤيته للحياة ودقة حسه ومشاعره وتعايشه مع كل أحداثها ما جعل ذاته متميّزة عن الجميع.
- لقد نشأ جبران في منزل مليء بالتضاد (تربوي وعاطفي) فوالده متسلط رادع وأم حنون تتألم لمعاملة زوجها لها وتسعى لحماية إبنها وتقيه شر أبيه وبينهما طفل حالمٌ ذكي حساس وطامح، فكانت هذه الظروف سببًا في شعور الدونيّة فبدل أن يكون والده هو المرشد كان هو من كان سبب عدائيته وتمرّده.
- كان محور معاداته للسلطة متمثلا في إنتاجاته بنزعة عدائية استهدفت السلطة كيفما كانت بصورتها الاجتماعية العامة ونزولا إلى وجوه خاصة تمثلت في الآباء ورجال الدين والأغنياء حكامًا أم عادّيين.
- اعترضت حياة جبران آلام ومصاعب كثيرة، من موت أحبابه وقساوة عيشه فضلا على معاداة رجال الدين والاقطاعيين له، وبرغم كل هذا فقد ارتضى هذه المآسي وعاش حرًا واعيًا، لم يحطم الألم نفسه بل كان يصنع منه إنسانًا طامحًا ومفكرًا وفيلسوفا.
- ولا شك أنّ العزلة من طباع الذات البشرية سيما الذات الفنانة على أنّ هذه العزلة نسبية وتكبر وتنمو في ظل الظروف التي تشكل قيود على حرية الفنان وتحجب فكره.

خاتمة:.....

- من كل تفاصيل جبران نصل إلى أنه المفكر الذي استطاع أن ينتج تيارًا فكريًا خاصًا به وصل إلى التحرّر في جميع المجالات واليقظة في الوجدان الفلسفي وقد كانت كل دمعة في كتاباته مرآة تعكس كآبة قومه فدعى إلى التحرّر من الذّل وطموحه إلى الحقيقة والحرية وإلى البحث عن الذات الكاملة.

وفي الأخير أملنا أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت وفتحت بابًا لفهم جبران وكشف أغوار الفنان فيه، والحمد لله فما أصبنا منه فمن الله وما أخطأنا فمنا والصلاة على الحبيب المصطفى خير الأنام.

ملاحـــــق

1-أقوال جبران خليل جبران القصيرة:

- أنت أعمى وأنا وأصم أبكم، إذن ضع يدك بيدي فيدرك أحدنا الآخر.
- بعضنا كالحبر وبعضنا كالورق، فلولا سواد بعضنا لكان البياض أصم، ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى.
- العقل إسفنجة، والقلب جدول أفليس بالغريب أن أكثر الناس يؤثرون الامتصاص على الإنطلاق.
- ليست حقيقة الإنسان بما يظهره لك، بل بها لا يستطيع أن يظهره لذلك إذا أردت أن تعرفه، فلا تصغي إلى ما تقوله بل إلى ما لا يقوله.
- نصف ما أقوله لك لا معنى له، ولكنني أقوله ليتم معنى النصف الآخر.
- الحقيقة، فينا صامت، ولكن الاتكسابي ثرثار.
- مع أن أموج الألفاظ تغمرنا أبدا، فإن عمقنا صامت أبدا.

2-أقوال جبران خليل جبران العميقة:

- ليس الشعر رأيا تعبر الألفاظ عنه، بل أنشودة تتصاعد من جرح دامٍ أو فم باسمٍ.
- الوحدة العاصفة هوجاء صماء تحطم جميع الأغصان اليابسة في شجرة حياتنا، ولكنها تزيد جذورنا الحية ثباتا في القلب الحيّ للأرض الحية.
- إنما الرجل العظيم ذلك الذي لا يسوده ولا يساد.
- لا تستطيع، أن تضحك، وتكون قاسيا في وقت واحد.
- لا يدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار.
- إذا تعاظم حزنك أو فرحك صغرت الدنيا.
- يقولون لي: لو عرفت نفسك لعرفت جميع الناس، فأقول لهم: ألن أفرق نفسي أولاً حتى أعرف جميع الناس.

3-أقوال جبران المؤثرة:

- ما أشبه بعض أوراح الناس بالاسفنج، فإنك لا تستقطر منها إلا ما امتصه منك أنت.
- جميل أن تعطي من يسألك ما هو حاجة إليه، ولكن أجمل من ذلك أن تعطي من لا يسألك وأنت تعرف حاجته.
- إن أيامنا مثل أوراق الخريف تتساقط وتثبت أمام وجه الشمس.
- إنّ ما تشعرون به من ألم هو انكسار القشرة التي تغلف إدراككم، وكما أن قشرة النواة الصلبة يجب أن تتحطم وتلبى حتى يبرز قلبها من ظلمة الأرض إلى نور الشمس هكذا أنتم أيضا يجب أن تحطم الآلام قشوركم قبل أن تعرفوا معنى الحياة.

4-أقوال جبران خليل جبران المعبرة:

- إن القلب بعواطفه المتشبعة يماثل الأرزة بأغصانها المتفرقة، فإذا ما فقدت شجرة الأرز نصا قويا تتألم ولكنها لا تموت، بل تحول قواها الحيوية إلى غصن المحاور لينمو ويتعالى، ويملأ بفروعه مكان الغصن المقطوع.
- ربما عدم الاتفاق أقصر مسافة بين فكرتين.
- لقد تعلمت الصمت من الثرثار، والتساهل من المتعصب واللطف من الغليظ، والأغرب من كل هذا أنني لا أعترف بجميل هؤلاء المعلمين.
- إذا كنت لا ترى إلا ما يظهره النور، ولا تسمع إلا ما تعلنه الأصوات بالحقيقة لا ترى ولا تسمع.
- ما أنبل القلب الحزين الذي يمنعه حزنه على أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة.
- يغمسون أقلامهم في دماء قلوبنا ثم يدّعون الوحي والالهام.

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

قـائمة المصـادر والمراجـع:

1- ابن سيدة، المخصص، تح: د. عبد الحميد أحمد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

2- ابن منظور، لسان العرب مادة (غ،ر،ب)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

3- ابن منظور، لسان العرب مادة (غَرَبَ) نقلا عن عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

4- إحسان سركيس، مدخل إلى الأدب الجاهلي، الطبعة الأولى، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، 1979.

5- أحمد بيومي، علم اجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، 1990.

6- أحمد هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب، سورية، 1990.

7- أنطوان القوال، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران، الطبعة الأولى، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت، 1994.

8- أي فرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصرية، الجزء التاسع، القاهرة، 1936.

9- بركات حليم، الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003.

10- الجاحظ، كتاب الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، 1992.

11- جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

12- جبران خليل جبران، الأرواح المتمردة، دار العرب للبستاني، القاهرة.

13- جبران خليل جبران، الأعمال الكاملة، المكتبة الثقافية، بيروت.

14- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف (الأرض المحجوبة)، كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر.

15- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف (الوحدة والانفراد).

16- جبران خليل جبران، العواصف، دار العرب للبستاني، القاهرة.

17- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة الأرواح المترمدة، دار صادر، بيروت، جزء الأول.

18- جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة، المعربة عن الإنجليزية.

19- جبران خليل جبران، المجنون المصلوب، ترجمة أنطنيوس بشير، دار العرب للبستاني، القاهرة.

20- جبران خليل جبران، المواكب، دار نوبليس للنشر، بيروت، لبنان.

21- جبران خليل جبران، النبي، أنطونيوس بشير، مؤسسة هنداوي

22- جبران خليل جبران، آلهة الأرض والسابق، المكتبة الثقافية، بيروت.

23- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة (توطئة).

24- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة (رحماك يا نفس رحماك).

25- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة المجموعة الكاملة، الجزء الثاني.

26- جبران خليل جبران، دمعة وابتسامة، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر.

27- جبران خليل جبران، عرائس المروج، يوحنا المجنون.

28- جبران خليل جبران، في عالم الرؤيا، مقالات مختارة، جمع محمد عبد الحميد، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 1955.

29- جودت إبراهيم بسام أحمد المجدل العراب مأسات وغربت في الجاهلية، مجلة جامعة البعث، العدد33، 2022.

30- حداد صونية، نظرية الاغتراب في الفكر السوسيولوجي، مجلة الأحياء، العدد 14.

31- حنان خصيص، الغربة والحنين في الشعر العربي، الحديث (فوزي المعلوف أنمذجا)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، مذكرة لنيل الماستر، 2014-2015.

32- درويش الجويدي، موسوعة جبران خليل جبران العربية، دار صيدا للتوزيع، بيروت، 2017.

33- ديوان سحيم عبد النبي الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، 1915.

34- رمل وزبد، من المجموعة المعربة لجبران خليل جبران، مكتبة صادر، بيروت.

35- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة غرب، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ.

36- الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1341هـ.

37- شموس عبد الله عسكر سليمان، مفهوم الذات وعقلانية بالحرية بالعمل لدى المرشدين التربويين في المدارس الحكومية، شمال الضفة الغربية، جامعة القدس المفتوحة، رسالة الماجستير، 2013.

38- صايغ توفيق، أضواء جديدة على جبران، دار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1966.

39- طنسي زكا، بين نعيمة وجبران، الطبعة3، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.

40- عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1963.

41- عبد الرزاق الخرشوم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

42- عبد اللطيف محمد خليفة، دراسة سيكولوجية الاغتراب، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، 2003.

43- علي جود المفصل، في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء4.

44- عيسى الناعوري، أدب المهجر، الطبعة الثالثة، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر.

45- غازي فؤاد براكس، جبران خليل جبران في دراسته تحليلية تركيبية لأدبه ورسمه شخصيته، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

46- غسان خالد، جبران الفيلسوف، الطبعة الثانية، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان.

47- فيليب حتي، تاريخ العرب (المطول)، دار الكتاب للنشر والطباعة والتوزيع، الجزء1، 1949.

48- محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر (المقدمة)، اتحاد كتاب العرب للنشر والتوزيع، 1999.

49- محمد فؤاد مرعي، المجموعة الكاملة لجبران خليل جبران، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2012.

50- محمد كاظم جاسم الجيزاني، مفهوم الذات والنضج الاجتماعي بين الواقع والمثالية، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، مؤسسة دار الصادق، 2011.

51- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، بيروت، 1981.

52- وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي من الجاهلي إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي، الطبعة الأولى، 1975-1976.

53- يحي جبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي (الحنين إلى الوطن)، الطبعة الأولى، جامعة إربد الأهلية، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

فهرس المحتويات

فهـــــرس المحتويـــات

مقدمة	أ
المدخل	
أولا: الغربة والاغتراب في المجتمع الجاهلي	**04**
1- غربة القهر	**07**
2- غربة الذات	**07**
ثانيا: عوامل الغربة في المجتمع الجاهلي	**08**
1- العامل النفسي	**08**
2- العامل البيئي	**09**
3- العامل الاجتماعي	**10**
4- المرأة	**11**
ثالثا: الغربة عن الذات	**11**
1- النزوح على العصبية القبلية	**11**
2- الغربة بعد الموت	**14**
3- الغربة الدينية	**15**
ثالثا: الغربة عند شعراء المهجر	**16**
1-الرابطة القلمية	**17**
2-العصبة الأندلسية	**18**
الفصل الأول: مفاهيم ومقاربات نظرية حول الغربة والاغتراب والذات	
أولا: مفهوم الغربة والاغتراب	**23**
1- المعنى اللغوي للغربة	**23**
2- المعنى الاصطلاحي للغربة والاغتراب	**24**
3- معنى الغربة في الدين الإسلامي معنى الغربة في الدين الإسلامي	**25**
4- معنى الغربة والاغتراب عند الفلاسفة	**26**
ثانيا: مظاهر الغربة	**28**
1- العجز	**28**
2- اللامعنى	**29**
3- التمرد	**29**

4- العزلة الاجتماعية	**29**
5-اللامعيارية	**30**
6- الاغتراب عن الذات (التمرد)	**30**
ثالثا: مفهوم الذات	**30**
1- المعنى اللغوي للذات	**31**
2- المعنى الاصطلاحي للذات.	**31**
الفصل الثاني: تجليات غربة الذات في نصوص مختارة لجبران خليل جبران	
أولا: سيرة جبران خليل جبران	**34**
1-حداثته	**34**
2-هجرة جبران	**34**
3-جبران يدرس في لبنان	**35**
4-عودته إلى بوسطن	**35**
5-جبران في باريس	**36**
6-جبران في نيويورك	**36**
7-مؤلفات جبران خليل جبران	**36**
8-وفاته	**38**
ثانيا: تجربة الغربة عند جبران	**38**
1-العجز الذاتي	**42**
2-العزلة الاجتماعية	**44**
3-التمرد	**46**
4-اللامعنى	**51**
5-اللامعيارية	**53**
ثالثا: البحث عن الذات	**55**
خاتمة	**61**
ملاحق	**64**
قائمة المصادر والمراجع	**67**
فهرس المحتويات	**71**

ملخص:

الاغتراب (الغربة) ظاهرة نفسية اجتماعية عامة، تزايد الاهتمام بها في السنوات الأخيرة نظرا لأعراضها التي باتت تهدد الانسان في مختلف مجالات حياته، خاصة وأنها مرتبطة بالتطور السريع الذي يعيشه المجتمع الإنساني.

وهو ظاهرة متعددة الأبعاد إذ تتكون من العجز واللامعنى واللامعيارية، والاغتراب الاجتماعي، ويحدث الاغتراب في مجالات تواجد الإنسان وفي كل مجال يشكل نوعا مختلفا فهناك الاغتراب الاقتصادي والسياسي والديني والنفسي والاجتماعي، ويمكن مواجهة الاغتراب إذا لم نتمكن من الوقاية منه بعدة أساليب أهمها العمل على توفير جو من الألفة والتفاهم والثقة بالذات وبالآخرين، والاهتمام بالجانب التربوي والروحي لدى الإنسان.

وفي هذه الدراسة التي شملت موضوع الاغتراب (الغربة) في نصوص جبران خليل الأدبية اتضح لنا أن هذا الأديب كان يعيش الغربة بكل أبعادها وأشكالها من خلال مؤلفاته التي لا زالت إلى الآن بوابة الدراسات ومحل أنظارها الأدباء.

الكلمات المفتاحية: الغربة، الذات.

Résumé:

L'aliénation est un phénomème psyhologique, sociale générale, l'attention croissante ces dernières année en raison de leurs symptômes ce qui menace mainetenant les droit dans divers domaines de sa vie, en particulier en ce concernait le dévellopement rapide connu par la société humaine, un phénomème de multimensionnelle car elle se de: impuissance, Non, absence de normes, inutilité, l''aliénation sociele, l'alination culturelle, se produit l'aliénation dans les domaines de la présence de l'homme dans tous domaines d'un genre différent, il ya de l'aliénation de développement, politique religieuse, psychologique et social. Peut faire façons, le travail le plus important de fournir une atmosphére d'harmonie la compréhension et la confiance en soi et avec autres, et l'aspect pédagogique et le spirituel dans l'homme.

Mots de clé: Alienation, Soi.